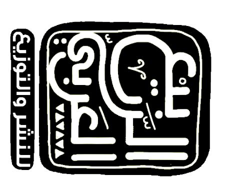
آخر أحلام الدانتيل



آخر أحلام الدانتيل

قصص

معتز هاني

الطَّبعة الأولى: يناير 2013
رقم الإيداع: 2012/23046
الترقيم الدُّولي: 7 - 08 - 5221 -977 - 978

المستشارة الثقافية: نداء عادل

الغلاف: أحمد مراد
الرسوم: إسلام علام



دار الربيع العربي

للطباعة والنشر والدِّعاية والإعلان

المدير العام: أحمد سعيد عبد المنعم

002 01141411118
002 01140848568

www.rabe3arabe.com
rabe3arabe@gmail.com



آخر أحلام الدانتيل

مُعتز هَاني

أقدِّم هذا العمل لأبحث فيه عن نفسي

لأبحث عن جُبران داخلي

وأبحث عنها

كما عِشت أبحث عنها في كل مكان

الفهرس

جمـــالُها وجـــعٌ في حديـــث الدراويـــش

تقولُ الأسطورة: عندما نزلت فينوس إلى البحر ضحكت ثم بكت، ولما سألوها قالت: سمعتُ بعض الأزهار تقول ما أجملَ صدرها! وسمعتُ بعضها يقول وما أنحف ساقيها!

وأقول للزهرة: حدَّثتني زهرة فلانة ابنة فلان، وكُنيتها الدنيا، نـزارية البتلَّات، مريميَّة العود، صوتها الشَّجن، وسِحرها الزَّمن.

قلت لها: جاملتِ فينوس ثم جرحتِ مشاعرها.

قالت: حسبك حسبك، تلك أسطورة، لماذا تحاسبني عليها؟

- وزهرة تتحدث إلى بشريٍّ أليست أسطورة؟

- في ضيق وإحراج: اسمع يا هذا، لا طاقة لي بك الآن، دعني في شجني ووَحدتي.

- لقد جرحتِ قلبي سابقًا ولم أسامحك إلى الآن.

- وهل للزهرة أن تجرح يا هذا؟

- في حزم: جرح الزهرة لا يفرق عن جرح السكين، فالدماء لا تعرف إلا اللون الأحمر.

- ويحك، تذكرتك الآن، ولكن حدِّثني أكثر عن حبيبتك.

- ريحانة القَدِّ، عظيمة القَدْر، مكتملة التفاصيل، فردوسيَّة اللحن، حُبلَى بذاتي، ومُنتشية بكياني، ومُزدانة بأحلامي، صِفاتها الياقوت، وجمالها موتٌ موقوت، طينتها الشِّعر، وماؤها العنبر، وخلقها كل صفات التفضيل، عيناها أول مُخدِّر تصنعه الملائكة، ونظرتها إثبات

على جبروت العشق، لمستها ترفع رأس حواء، وعبيرها يرفع هامة الثرى والثريَّا، شوقها حنين الحياة إلى الحب، وقُوَّتها حنين النسوة إلى الضعف، أستاذة النساء، تتلمذ على يديها الجمال والدلال، وتوقَّفت عند قدميها البراهين والحُجَج، وعجز أمام أمانيها السراب والحلم، تفرَّدت بنفسها، وتعدَّدت بوصفها، تفنَّنت برسمها، وتكرَّمت بسمتِها، هربت من كل جنون الكتب وملكوت الشِّعر وقصاصات النثر إلى قلبي، ظننتها في البداية حق الكلمة وما يبدعون، لكنها جُملتي المفيدة وفِكرتي السعيدة وعقلي الجميل! إذا شَرِبت ابتسم المشروب، وإذا أكلت رقص الطعام فرحًا. إذا استثنيتها من تاريخ النساء وجدته صفحة بيضاء، وإذا أخرجتها من تاريخ الحب وجدته سهمًا مكسورًا على حافة شجرة وبضعة أحرُف، يخرج من رموشها ملايين السَّحَرة وأكسير سحري للموت الرحيم. شُرفتُها تشريف وجلسةٌ على سفرتها سفر! تختلي بالألوان لتسرق منها سريالية الكمال والجنون، وتختلي بالنهار لتسرق شمسه إلى شمسها فيخرج كون عاشق من فجر جديد.

هي السلام، هي حالة السلام، هي السَّكينة والغضب، والفن الغجري والأدب، هي حالة رومانسية ومشهد درامي لاحتضار الحياة على كتف الحب!

هي الرومانطيقية في ثوب مُمَزَّق للرومانسية، هي انفرادي الذي لا أحكي عنه لأحد، وسرِّي الذي أُخفيه وأظل أصيح: مدد مدد!

هي أجمل ما كتبتُ، وأغرب ما نطقتُ، وكل لحظة ضربتْ فيها يداي رأسي ندمًا على فقدانها، هي حالة أورجازم مشاعر القمر في السماء كل ليلة!

هي صورة الفضيلة في ثوب عاهرة مظلومة، وهي وسطية كل ما هو ضد الاحتمال، وأقرب إلى المحال، حالة انفصام العشق عن نفسه

والسر عن حامله.

هي رقصة سالومي الأخيرة، ورعشة رأسي خوفًا من قطعه.

هي الحالة الوسطى بين كمال صفات مريم وبين توبة المجدلية.

هي هزيمتي التي أُطلِقَت بعدها صواريخ الانتصار، وهي طوفان التمنِّي وطغيان الأحلام.

هي جنون شعر "درويش"، وجمالها وجعٌ في حديث الدراويش، وجهها اختصار الفن، وحاضرها اختصار تاريخ العالم، وحضورها لحظة عطش الياسمين.

هي بسملة الحب، وتعويذة الهيام، هي كل ما يدور في عقل رجل كراقصة الباليه، شفتاها شق عصا سحرية لوادٍ خصب. هي كل ما يشغل تفكير المكياج وأدوات التجميل التي تريد مباركة من هذا الوجه وهذا الحسن المشعوذ المبروك. هي فستان النهار الأبيض وفستان الليل الأسود لسهرة كيوبيد، هي أضعاف ما قلتُ، وكل ما لم أقُل بعدُ، هي كل ما وصفتُ، وأضعاف ما وصف العشاق قبلي، هي امرأة مصلوبة بين عذاب الواصف والموصوف، والعاشق والمعشوق، هي الراعية الرسمية للأنوثة، وهي مذكرات بقلم الجمال.

قالت لي الزهرة: الآن تذكرتك أيها العاشق، وتذكرت حبيبتك التي تصفها لي منذ عشرات السنين بعذب حديثك، والآن تستطيع أن تقطفني، وسأرشدك إليها.

- أحقًّا لن تجرحيني مرةً أخرى أيتها الزهرة! أحقًّا أسافر في آلة الزمن مع زهرة؟

- الآن تحدثت عن الحب، رحلة في آلة الزمن مع زهرة، ربما يكون تعريفًا جديدًا للحب، هيا اركب معي، قبل أن تفوتك الرحلة.

وبعد سنوات، وفي عام 2050، ما زال الوضع كما هو عليه، وما زالت الزهرة تسافر معي كلَّ ليلة وقد هَرمتُ قليلًا وهَرمَت، وما زلنا في رحلة البحث عن ست الحسن.

ومهما انتقلنا في آلة الزمن لن نجدها، لن نجدها في آلة الزمن، لأنها، هي الزمن...


هي وشجرةُ خطايا الحب[٣١]

للحُبِّ خطايا، إن خالفت خُطاه؛ حصدت خطاياه، وللحُبِّ رقصةٌ غجريةٌ، إن لم يتعلمها نبضُ قلبك، لا تلم الرقصةَ، الحُبُّ كما صندوق الدنيا، منّا من يختبئ خلف ستارِه، ومنَّا من ينظر، ومنَّا من يشكك في صاحبِ الصندوقِ.

إن أتاك الحُبُّ بغتةً، فالأفضل لم يأتِ بعد، الأصعبُ لم يأتِ بعد.

للحُبُّ خطايا، أولُها الضعف وآخرُها القسوة، ماضيها السهر وحاضرُها الأشجان، منبعُها القهر ومصبُّها الاستسلام، أقفُ كي أروي المشهدَ فلا أتمالكُ أعصابي، وتلك خطيئةٌ أخرى للحُبِّ. خطايا الحُبِّ في قلبي.

الخطيئة الأولى (الضعف)

المشهد: كيوبيد يسكر من دمائي

المكان: إحدى بقاع العشق الأرضيَّة

في هذا المشهد أراها لأول مرَّة، وتشارك عيناها بقسوة في جلسة تحضير روحي وجنوني، الضعف كفارسٍ بحصانه الأبيض، تعشقه فتاةُ الحلم، ما زلت أسمع زغردةَ الشمس وهمسَ المطر في هذا اليوم، ما زال جنونُ العظمة في قلبي يطارد عظمةَ الجنون في سحرها.

ينفطر القلب إلى قلبين، قلب يسكن قصره ويراقص ملكيةَ ست الحسن، وقلب يسكن كوخًا ويراقص شعبيَّةَ ست الكل.

تقف أمام الفنجان في هذا المكان، كأني أرى دخانَ الفنجان سرابًا،

أعيتني المثالية في يوتوبيا جمالها المقلق، ما زلت أسأل كل خلية داخلي، هل هي قبسٌ من نورٍ أم اقتباسٌ منه؟

في عينيها البشريَّة أميراتٌ طائراتٌ بمقشاتٍ سحريةٍ، تصطدم في شواطئ دمائي فتزهر أشجار الليمون وحبات الرمان، وكأن لسانَ كياني يلعق جدرانَ أنوثتِها بجنونٍ وهيامٍ تامٍ، تنظر حولها وكأنها في انتظار ملائكةٍ قادمةٍ من مدى أبعد، وتقلِّب مشاهد حياتي برمشات العين المتتالية، حين تتفلسف عيناها ترعد السماء وتبرق، وحين تشعر بالبرد وتشد إليها المعطفَ أكثر، تصل إلى قلبي حرارةُ المشهدِ البردان.

جلستْ لا تعرفُ أن الحُبَّ الأولَ يولد في نفس الغرفةِ، الحُبُّ يولد في أي مكان، بلا انتظار، ولا طبيب ولا أشخاص تقلق، ولكن تقلق السماء، الحُبُّ الأول يخرج من صدري، يدخل كما شبح مجنون يعزف بالناي، فإن أرهقني الوجعُ أطربني صوتُ الناي، وهذا هو جنون الحبِّ، بدأ الضعف يُراودني، والخوف من المجهول في عالم الحبِّ هو أولى علاماته.

تتشابك أصابعُها وتتشابك أصابعي، كلٌ في منضدتِه.

تتشابك أصابعُها في انتظار موعد الرحيل، وتتشابك أصابعي في انتظار لحظة عودة نفسي من فوق رموشِها.

ويبقى المشهد واحدًا لشهور.

لا تعرف كيف تواجه، لا تعرف إلا جنونَ النظرة وحرارةَ اللقاء الوهمي، لا تعرف إلا حلاوةَ الحلمِ وطعمَ نشيد الأملِ.

الخطيئة الثانية (القلق)

المشهد: كيوبيد يُخرج سيفًا من غمده

المكان: بيتي

بعد الضَّعفِ، يأتي القلقُ، وغرابةُ الحُبُّ أن القلق لشيء لا تملكه ولا يراك، تدور كما المجنون في غرفتك خوفًا من فقده، وصوت يصيح داخلك ويصرخ وهل ملكتها أصلًا يا عاشقًا مجنونًا؟

العاشق لا يخشى أن يفقدَ ما يملكه، بل يخشى عدمَ قدرتِه على الامتلاك، والامتلاكُ في الحبِّ أن تملك من تحب وأن يمتلكك في نفس الوقت، أن يصبح الامتلاك قوةً وضعفًا، عزَّةً وذلًّا، طمأنينةً ورهبةً.

قلب العاشق كما الشمس، من هنا يأتي القلقُ، شمس تحتاج لسماءٍ صافيةٍ؛ كي يظهر نورُه وقوتُه، لا يحتاج سماءً غائمةً يحترق خلف غمامها، ويبقى المشهد كما هو، قلق وحيرة بين الخطيئة الأولى والثانية. وما زال الحب يمارس لعبة خطاياه.

الخطيئة الثالثة (الهروب)

المشهد: كيوبيد يلقي النرد على دمائي

المكان: كل مكان لقاء

الهروب من الحبِّ يراه البعض هروبًا من الواقع، ويراه البعض هروبًا إلى المستحيل؛ هروبًا من الأبدية إلى الإبادة؛ هروبًا من الغرق الجميل إلى طوق النجاة الغارق.

تلك أقسى خطايا الحبِّ، هروب من كل شيء، هروب من عينيها أرض الخلود، إلى أرض تظنُّها خالدةً.

تُلملم كلَ شيء تملكه، تُلملم صفاتَك المبعثرة حول خطواتها وتهرب، تُلملم حروفَك المهاجرة كالطير إلى مسامعها وتهرب، تُلملم دندنتَك بالعشق طربًا وتهرب، إلى صحراء القلب مرَّة أخرى، تهرب من جبل الذهب في عينيها إلى ذهب الرمل في قلبك، تصعد، تصعد، تصعد إلى فوق نفسك وحياتك بأكثر من حياة، ولا تصيبك فوبيا المشاعر المرتفعة، بل تقتلك فوبيا جمالها والخوف من كسرة القلب، هروب من كسرة قلبك إلى قلب كسرتك ذاتها، هروب من الاستسلام لـ"أكذوبة" السلام مع نفسك! دون الحبِّ لا تملك السلامَ مع نفسك؛ لأنك لا تملك قلبًا تعقد معه الهدنة.

وكلما زاد اقترابها منك؛ تهرب.

كلما اقتربت؛ تبتعد.

كلما اقترب الحلم؛ تستيقظ وتهرب منه، وكأن الحبَ مطاردةُ الحلم لمن يحلمه، ومطاردةُ الوهم لمن يتوهَّمه، ويبقى الحبُّ سؤالًا يمد علامات استفهامه كما هلب السفينة، تمزِّق القلوبَ بدماءٍ باردةٍ!

الخطيئة الرابعة (الخـوف)

المشهد: كيوبيد يتركك وحيدًا

المكان: آخر لقاء

الخوف أعزُّ أصدقاءِ الحبِّ، يعلنه عليك منذ البداية، ويتركك صديقه في النهاية، كلما اقتربت منها أشعر بالرهبة؛ رهبة عينيها التي راقصت فيها ألف باليرينا، رهبة من الألفة ومن التعود ومن صداقة الحبِّ، رهبة من قصاصات الحب ومن مشهد الأقلام على أوراق الشِّعر، ومن قصص الأميرات وأن يحضرن.

تبقى هي ملهمتك، تنظر دامعة إلى روح خائفة مهزوزة، وتصبح نبضاتك الخائفة أوراق زهور مبعثرة، يقطعها القدر على طريقة "تحبني لا تحبني"، وتبقى خلف نافذة قلبك المقتولة بشروخ المطر، في مشهد وداع صعب، قطرات تحجب عنك الرؤية، وقطرات تعطيك نصف الحقيقة.

وتبقى حقيقة الحب داخلك نصف خوف ونصف ابتسامة.

لا تعرف في النهاية هل هي خطايا الحبِّ أم خطايا العاشق؟

هل قتلك كيوبيد حقًّا أم سلَّمته السلاحَ لقتلك؟

هل تلذَّذت بخوفك أم بكيت على ذكريات خلودك؟

ميلودراما ”عاصفة العشق“

عندما وِلدت حبيبتي لم تحدث المعجزات في الكون، ولم ينشق قمر، ولكن كانت الرعشة في كياني قبل أن أولد، الرعشة في الفكرة التي أوجدتني، الفكرة التي خلقها الله، وخضع لها العدم.

أريد أن أفجِّر قلبي كبضعة ألعاب نارية، ويبقى الكبرياء والأمل أطفالًا ترقص أمام المشهد.

يومٌ لم تكن الشمس فيه إلا علامة فارقة بين حقيقتي وعدمي، يومٌ أشرقت فيه الشمس عنادًا، أو توضيحًا للحقائق، هل حاورت نفسك من قبل؟

لا، لا، لا أقصد، مجرد كلام مع نفسك، بل أن تحاور كل شيء فيك على حدة في غرفة مغلقة، أن تنفرد بعقلك في غرفة ونبضك في غرفة وقلبك في غرفة ومشاعرك في غرفة أخرى وتحاول أن تقنعهم بمذهبك الجديد، مذهب العشق الذي سرت عليه واعتنقته قبل أن يكذبوك.

فتحتُ أربع غرف متجاورة يفصل بينهم جدار زهري شفاف كأنه بطانة قلب عاشق، لا يسري الصوت فيه ولا يسمع كل منهم ما يقوله الآخر حتى لا تؤثر أقوالهم على أقواله، كانت حبيبتي الشاهدة على النقاش بحضورها الرمزي المتجسد في أناملي المرتعشة وارتعاد فرائصي وعذابي المقيم، لكنها لم تحضر بنفسها بالفعل.

بدأت الحوار في الغرفة الأولى مع العقل، دخل مترددًا معي وقال: هل تعرف ما تحاول أن تقنعني به؟

قلت في حسم: نعم أعرف، وأنت لو فكرت جيدًا سترى الحق في قولي.

- كل طرف في نقاش يرى الحق في قوله، الحق رمح ناري لا يُحكِم

قبضته عليه إلا من يمتلك مفرداته.

- والحب طائرُ جنَّة لا يسمع صوته إلا من يشعر به.

- محتدًّا: آه، دعك من رومانسيتك الكلاسيكية وحاول أن تزن كلامك معي فأنا لست القلب، إن أردته فهو في الغرفة المجاورة فاذهب إليه.

- سأحاورك بالمنطق الذي تحب وأدعني من لغة العواطف، ألست أنت مصدر أحزاني وقلقي وسعادتي؟

- مترددًا: لي الفخر.

- كلما فكرت في أمر محزن أو شيء جيد حدث لي أفكر عن طريقك ثم أشعر، أنت الأب الروحي لشعوري وحزني وسعادتي.

- لهذا أمرتك أن تبتعد عن الحب.

- أسفٌ جدًّا، فكرت خارج إطارك.

- في لهجة توبيخ: بدأنا حديثًا لا جدوى منه.

- وأنا أطمئنه: اسمعني فقط، أحببت عن طريقك، ألا تعلم أن الحب أيضًا تفاعلٌ كيميائيٌّ دورُك فيه عظيم؟

- مراوغًا: باستطاعتي منحك السعادة، لكني لن أمنحك حبًّا يُشقيني، أعرفت الفرق بين السعادة والحب؟

- في يقين: دعني أقول لك أن السعادة هي لحظة كاملة لكن الحب هو كمال كل لحظة.

- في حيرة: فلسفة!

- ما الذي يجعلك من فلاسفة العالم القائمة أفكارهم على التشاؤم إن كان التفاؤل سيزيد علاقتنا ترابطًا وقوة؟

- حسنًا، حتى لو اقتنعت بما تريدُ مني، وهو الاستسلام للحب، حاول إقناع البقية، الدرب أمامك طويل، ستستقبل زهوري ندى الحب، إن كان سعادتك الأبدية.

- لا أعرف كيف أشكرك، سأُكمل رحلتي في غرفة النبض.

في الغرفة المجاورة جلس النبض مرتعشًا خائفًا:

- في البداية: فيمَ انهزامك والعقل قد اقتنع؟

- جلُّ خوفي كان اقتناع العقل، فالقلب مقتنعٌ دون حديث.

أشرقت عيني بفرحة طفل:

- أحقًّا ما تقول؟ هل اقتنع القلب قبل لقائي به؟

- العاصفة تقترب، ولا أجد مأوى.

- مبتسمًا أجبته: عاصفة تهب من ثغر حبيبتي المعسول لن تذهب ريحنا وتُفنينا، هي كل أحلامنا وأمانينا.

- شاردًا: لا أشعر بالطمأنينة على نفسي، بدأت أتوتر وأهتز على كرسي القلب الهزاز بشكل مفزع.

- لا تخف، إنه الأثر.

- في تعجب: أي أثر؟

- أثر الفراشة، الحب يأتي وتبدأ بوادر أثر الفراشة لتتجلى الرؤية كاملة لعجائبه وقدرته.

- بتَّ كما القلب تمامًا، كأنكما خُلِقتما للعشق.

- خُلِقنا له، وخُلِق لنا، وما بين الحالتين خُلِقَت لنا حالةُ كمال على شكل امرأة.

- وهو يُغالب تشنُّجه: حسنًا سأحاول الهدوء، امضِ إلى سبيلك في رحلة الجنون.

خرجت من غرفته منتشيًا سعيدًا باقتناع القلب دون المرور به، لم يتبقَّ إلا مشاعري.

هل كان لعقلي سيطرة كلية عليها؟ لكني أقنعته، فلماذا تبقى المشاعر متأرجحة؟ أم هو تأرجح السعادة لا تأرجح التوتر والحيرة؟

دخلت الغرفة وقد غطاها الثلج في كافة الأركان، وكأننا ذهبنا في رحلة إلى قطب ثلجي تمامًا.

- هل يعجبك الحال؟ هل استسلمت للتجمُّد؟ ألن يعقب عشقي ذوبان للجليد كما ذبتُ أنا في شمس نهار وجهها؟

- لا أصدق رسالتك، لن أتبع عشقك الجديد، ولا أهوى المغامرة، لأني أخاف المخاطرة.

- تخافين المخاطرة؟ إن كنتِ تريدين الهروب من الخوف لِمَ أعيشه أنا؟ إنها الدوَّامة التي يعيش فيها البشر، يتحدثون عن الخوف ولا يحاولون الخروج منه، يتحدثون عن شبحه ولا يعرفون أن هروب الشبح في الأمل والحب.

- الحب قِبلَةُ الخوف والرهبة والموت.

- الحب حالة رهبنة الخوف وتصوُّفه، وهل أجمل من أن تشعر بتصوُّف خوفك؟ في محراب القلب تتلاشى عزلتك في عزلته ووحدتك في وحدته.

- اتركني الآن لن يقنعني إلا دليل ملموس.

- حسنًا، قد حانت اللحظة، هل سمعتِ قصة يوسف من قبل؟

- نعم، لكن ما الغرض منها الآن؟ عن أي جزء فيها تتحدث؟

- ستعرفين بعد قليل.

خرجت من الغرفة وبدأت أصيح فيهم أن اجتمعوا أمامي، حتى حضروا جميعًا ومعهم القلب، أعددت لهم المفاجأة.

تفاح من شجر الحب وبعض السكاكين الحادَّة، وقلت لهم إنه وقت الاحتفال.

خرجت عليهم حبيبتي، لم يروا في نور وجهها إلا قيامتهم ونشيجهم، لم يسمعوا من أصواتهم إلا الأنين والحشرجة، قطعوا أيديهم في نورها ونظرتها التي استعبدت أزهار العالم وثراه، كانوا من الدهشة بحيث لم يشعروا بالألم والدماء تسيل منهم عشقًا وكمدًا!

- أتقتنعون الآن بفعلي؟ أتعرفون من هي عشقي؟ لا يسألني أحد منكم عن الدليل والأسباب.

غادر طيف حبيبتي رواق القلب، نظرتُ إليهم، حاولت إفاقتهم، أرعبتهم الدماء السائلة فوق التفاح.

قالت لي المشاعر: الآن عرفت عن أي قصة تتحدث، يالك من ماكر!

قلت: وهذا قبس من نورها فقط، فما بالكم لو جلستم معها لساعات وأيام مثلي!

خرجوا جميعًا يحاولون التغلُّب على خوفهم مما حدث، وقالوا: كان الله في عون البشر.

نظرة واحدة كانت كفيلة بجنوننا وفقدان الإحساس بالألم، كيف نعيش العمر عاشقين إذًا!

ذهب كل منهم إلى مكانه، وبقي القلب يقول: كنت أول من آمن

برسالتك، آمنت بها من البداية.

قلت له: طوبى لمن آمن بالحب والسلام.

- جمالها لا يعدل ولا يرحم، وعينها لا تُبقي ولا تذر.

- إن اجتمع الحب مع جمالها ستجد العدل في حُسنها ولن يظلمك أبدًا.

- أنا لك، خُلِقتُ لك.

- أنا وأنت خُلِقنا لعشقها.



هي والحبُّ ورقصةُ منتصفِ الليلِ

خيمة قبيلة وساحرة عربية وعاشقة تهذي، وتقول "إنه الحبُّ، عجبًا إنه الحبُّ، استلهمه دموعًا، وأشعره كيانًا ونحيبًا.

قلت "يا هذه، كيف تعالجين السحرَ بالسحرِ؟!".

- وما أدراك بموكب الملائكة في قلبي والأزهار المنتحرة على نصف جبيني؟

- (أشرت إلى قلبي)، أستطيع أن أخبرك، بثقة تامة، أن كيوبيد مرَّ من هنا.

بدأت تسمعني، وانصرفت عن تلك الساحرة المجنونة.

- الحبُّ، كما المزمار الهندي، تأتي إليه القلوب ملتوية كالثعابين، فيجعلها في خشية وتستقيم أمام صوته الساحر وتتخلص من كل نواقصها وخفاياها، الحبُّ استلهامٌ للقمر في صورة امرأة، واستلهامٌ للشمس في صورة قلبٍ عاشقٍ، واستلهام للمستحيل في صورة أول نظرة.

هو رحلة البحث عن نصف الفردوس المفقود، هو رحلة البحث عن نفسك الآخر أو مَلاكك الآخر؛ كي تصبح بشرًا بجناح مَلاك ومَلاكًا بطبع بشر.

الحبُّ هو مدينتُك الفاضلة، وبئر سعادتك لذَّة للشاربين.

هو نهر القدسية الذي يتعمَّد فيه قلبك في ماء الحبِّ وقطرات الحياة.

الحبُّ هو بروفة موت من تأليف الحياة، وبروفة الخلود من

تأليف عينيها، مسرحية الأبدية بلا ستار ولا جمهور ولا يحزنون.

هو اشتياق جينات وحدتك إلى الخضوع، واشتياق قوتك إلى من يشقها بعصا السحر، واشتياق فناء جسدك إلى ديمومة المشاعر والإحساس.

الحبُّ هو بشارتُك الأولى، مولودك الأول الذي لم تلده، وأبوك الذي هجرته، وحانت لحظة عودة الابن الضال.

الحبُّ هو كعبة نبضك، وقوس قزح هيامك وجنونك، ولحظة لقاء غريبة بين شجنك ورعشة عينيها.

الحبُّ هو أولى فضائلِك ومدى البصرِ لدهشتِك وبساط معجزاتك، وهو أول شرعية للعذاب والألم في أوردتك، وأول سباحة لحواء في دمك ضِدَّ التيار، تيار الوحدة والشجن.

الحبُّ هو اعتياد الدهشة، واعتياد البراءة، والخروج من نفق حقيقة نفسك إلى شمس حقيقة الحبِّ، فالحبُّ هو الحقيقة الوحيدة في نظر العاشق.

الحبُّ هو الخروج الأوحد من وهم العالم إلى عالم الوهم، ومن حبِّ الذات إلى ذات الحبِّ، ومن لقاء القدر إلى قدر اللقاء الأول.

الحبُّ هو السير على حبل رفيع ما بين روحك والقمر، بلا انتظار لشروق يحرق القمر، ولا غروب يقطع وصال روحك.

هو أول رقصة بينك وبين قصص الخرافات، سندريلا تحضر لك الملابس، وسنووايت تحكي لك عن قصة التفاحة، دون أن تتعجب أو ترتاب من الموقف.

الحبُّ يجعلك قائد أوركسترا الأزهار، ووسيطًا روحانيًا بين الياسمين

وعطره، وعرافًا للملائكة بلا أصداف ولا منديل أبيض.

الحبُّ ليس مجرد سهم يلقيه مَلاكٌ، بل هو إعادة نحت قلبك بخصال من تحبُّ، وإعادة زرع وجدانك بضمير مستتر تقديره "هي".

الحبُّ هو الربيع النائم في قلب كل منَّا، في انتظار أول نداء من زهر الحياة؛ كي يعصف بقلبك ويخرج للعالم.

الحبُّ هو يوم قيامة عاطفتك، وأول عرضٍ سحريٍّ لكيوبيد على قلوب البشر، أولى كلمات الأرض تنطقها في مهدها بلا صراخ.

الحبُّ هو الحياة في العالم الموازي، واستنساخ لروحك في كأس قديس عاشق، وأول ورقة سلوفان ترسم بها السماء الشمس على قلب العالم.

هو أن يقوم قرينك بأول رقية عشقيَّة لقلبك، وأول زار يحضره قلبك دونك، وأول هزيمة تشعر بعدها بلذَّة الانتصار.

الحبُّ هو انسجام قلبك مع قافية شعر الخلود، وانسجام إحساسك مع فيولين الأنوثة وقيثارة البراءة، وانسجام دمائك مع بركانها المتذمر بلا احتراق ولا ألم.

الحبُّ هو سرك المعلن، وسر العشق مفضوح في عين كل عاشق، وسر الحبِّ أنه بلا أسرار.

الحبُّ هو أول صدمة تعجز بعدها عن تقدير الوجع، ومعرفة عدد دمعاتك، وعن الإحساس بالحياة واستبدالها بحياة الإحساس.

الحبُّ كما الشلال، لا تعرف هل منبعُه من قلبك عطاء أم مصبُّه إلى قلبك غاية ونهاية حتمية؟

الحبُّ هو لحظة المعجزة، شروق أحلامك من غروب ضعفك،

وشروق يومك من غروب أمس بلا عشق.

الحبُّ إعادةُ خلقِك من بنفسجٍ، وإعادةُ صياغةِ نبضِك وحواسِّك، وشعورك أنك قُبلة وداع من مَلاك راحل.

هو أول رقصة للحور على شواطئ دمائك، وأول عزف لأصابع الحياة على قيثارة قلبك، وأول وجع حقيقي ينفض عنك الماضي ويحطم تابوه المعتاد والمألوف.

الحبُّ هو ليس رحلتك الجديدة في الكون، بل هو رحلة الكون بأسره بداخلك، وهو الصراع الأبدي بين ما تريده في الحياة وما تريده الحياة فيك.

الحبُّ هو الكروان الذي نتبع صوته دون رؤيته، وهو الندّاهة التي تخيفنا، لكنّنا لا شعوريًّا نتبع خطواتها.

الحبُّ هو أول كتاب للحياة، مُوقَّع على غلافه "إهداء لصديقي. الموت".

- هجرني بعد سنوات العشق والغرام، وكيف تشعر بالهجر وأنت عاشق؟

- الهجر نصف الخطيئة، وربعها الآخر قدر، وربعها الأخير رحيلك، كما زهرة تستسلم إلى الخريف إن تركتِها بين يديك تذوي وتذبل في طريقه، وقد تكونين جننتِ بالعشق وليس بالعاشق، فعجبًا لمن يجنّ من الحب ولا يتعجب من لحظة ولادته.

- حسنًا حسنًا، لكن اسمع هذي الأحجية "نصفي يدعو نصفي الآخر إلى رقصة نهاية، ودموعي الجافة تصلي صلاة استسقاء إلى عينيّ، وخطواتي تسير عكس إرادتي وحلمي يسافر إلى زمان أحسبه التيه ويحسبني الغربة، وكلما سمعت كلمات حبٍّ تخضرُّ الأرض

خلفي وتصفرُّ الأوراق أمامي، فما أنا؟ مجنونة؟ أهذي؟ ما أنا؟ ما أنا؟"

ثم رحلنا، ما زلت أراها تكمل الطريق، ولا يكتمل.

وتجالس الأزهار والقمر وأشجار الليمون، وقد كساها الحبُّ شيبًا كما قست عليه يومًا، ورحلت قبل أن أجيب عن سؤالها الأخير، هل هي مجنونة؟

كان الرد على لساني بعد رحيلها، ببساطة، "عاشقة".

ولأني لم أجبها فات الأوان.

عرفتُ الحبَّ شيئًا جديدًا، رأيت الحبَّ إجابة، لكن في آخر أنفاس السؤال.

عروسُ النيل تشربُ من دمائي

في أحد أيام الصيف، ما وراء غياهب هذا العالم، في لحظة عشق منسية، وقفتُ أنظر من شباك غرفتي، لا أعرف شيئًا عن تلك اللحظة، إلا أنها أشبه بالعالم الموازي، ليست تلك الإطلالة هي ما أطل عليه كل صباح، لم أر تلك الشجرة الوارفة من قبل، ولا هذا النهر، ولا الصراط الذهبي، ولا تلك الثريا الغارقة في الزهور والعبير.

ما هذا؟ أين أنا؟ هل أسكرتني لحظة التفكير بها إلى حد الهلوسة؟

مَن هذه؟

أراها طيفًا عابرًا مجنونًا، تُثيرني بفستانها مفتوح الجوانب، كأنه قبس من خلود، وبصدرها المشدود، كأنه لُعبة ماريونيت لقديسات هاربات في سماء الحب، كانت نظرتها من خلف الشابوه المليء بالدانتيل الناعم، كأنها تنافس في قوتها نعومة مشهد هذا الصدر البض، يا للدهشة، من أرى، الآن ظهرت أكثر، إنها هي!

كطفل يجذبه جنون يوم العيد، هرولت مسرعًا إليها، نزلت إلى الأرض التي لا أعرفها، وقفت، اقتربت، كذبت عيناي، لكني لم أملك أي دليل إدانة على تلك العيون العاشقة، التي أكدت رؤية هلال جمالها، وقفت مشدوهًا تتخطَّفني اللحظة، تهزُّني في مهد جنوني، وقلت لها بصوت متحشرج ضعيف: أنتِ؟

قالت: ولِمَ لا؟

كان الرد غريبًا جدًّا، ربما أغرب من تلك الصدفة، مَن يرد بتلك الكلمات لهذا السؤال، لِمَ لا، لكن، لِمَ نعم!

هل عادت من رحلة عقلي، أم خرجت من لا وعي دهشتي ووحشتي ووحدتي وقلقي!

اقتربت أكثر بحذر، كالسائر على الجمر، وقلت: كيف رجعتِ، ولماذا تقفين على حافة النهر؟

قالت في نعومة: ألم يعجبك الفستان؟

قلت متلهفًا متسرعًا: بلى، طبعًا طبعًا، إنه....

ثم سكتُّ برهة، راجعت نفسي، وقلت: لماذا تسأل هذا السؤال بتلك الثقة وتلك النظرة الماكرة؟ إن كانت هي حبيبتي فأنا أعرفها جيدًا، لكل سؤال منها هدف وغاية، وكأنها تقول دائمًا الحب يُبرر الوسيلة،

بدأت أتردد وقلت: أعجبني، لكنه ليس المهم الآن، من أين عُدتِ؟ هل استدعتك النار اليقظة في أحشائي كفعل السحر؟ هل شعرتِ بوحدتي دونكِ تلك السنوات فقررتِ العودة؟ وهل عُدتِ واقعًا أم خيالًا كما هذي الأرض والأشجار التي لا أعرفها.

قالت وهي تزيد فتحة صدرها اتساعًا كأنها ساحرة تُخرج لي تفاحة حمراء شهية من خلف الفستان الأحمر: أسئلتك كثيرة، لكن المشهد يرتعد له الفارس ويخر صريعًا له الجبل، وأنت لا تسأل إلا عن عودتي وتنظر إلى فستاني.

تملَّكني القلق من محاولة إغوائها الغريبة وتركيزها على الفستان، وكأنها تتأكد إن كنت أنا حبيبها قديم العهد الذي لا يقدس إلا عينيها، أم صرت مجرد رجلٍ شرهٍ مفتقد لعشيقته، في ليلة جسد ونبيذ!

قلت في حِدَّة: دعكِ من هذا الفستان، فسِّري لي ما يحدث ولِمَ تقتربين من النهر أكثر وأكثر؟ حذار السقوط حبيبتي فالنهر عميق.

قالت ضاحكةً: انظر خلفك، حاول أن تخرج إلى كامل المشهد.

نظرت خلفي وكأن صيِّبًا من السماء ضربني، ارتعدت للحظة، حاولت تمالك نفسي وقلت: يا الله ما هذا! من هو؟

قالت: إنه مَلك الموت.

قلت بعفوية والخوف يملؤني: حبيبتي وما شأننا وشأنه؟ ابتعدي عن الحافة أرجوك، ما الموت إلا لحظة نعيشها في لقائنا حين تحملني قدسيتك إلى كلِّك الطاهر فأتبخر في أهدابك، كأني غرقت في مثلث برمودا العشقي، وأذوق طعم الموت بلذة الحياة.

قال المَلك: العشق بداية الموت.

قلت له مقاطعًا: ونهاية الموت العشق.

قال: الموت نهاية العشق.

قلت: العشق لا يموت، هل قبضت رُوح شعور؟ هل قتلت بيديك إحساسًا؟ لا والله لن تقدر، فالعشق هو حدُّك ونهايتك ومصيرك، فلا يمكن أن يكون الموت هو النهاية، بل الموت له نهاية وهي العشق، حينما يسير الموت على طريق الجمال.

قال ساخرًا: آه، موت جميل؟ اعذرني، رغم خبرتي في الموت سنوات، لم أرَ مَن يموت متلذذًا!

قلت: لأنك لا تقبض إلا أرواح اليائسين، تستطيع أن تقبض رُوح من يعطي، لكنك لا تستطيع أن تقبض رُوح العطاء، تستطيع أن تقتل من يضحي، لكنك لا تملك أن تقتل التضحية، ألا تشعر بالعجز أحيانًا؟

قال في انكسار، كأنه اكتسب صفات البشر: بلى.

قلت: دعني أوضح لك، إن كل من مر على فردوس العشق مات متلذذًا، وكما قلت لك إن الموت نهايته العشق، واللذة أيضًا نهايتها

العشق، فيصير العشق هو لذة الموت، والحياة دونه هي موت اللذة.

قال: لكن حبيبتك تموت أمامك، لن يمنع عنها قدرها العشق. الموت أقوى من الحب.

قلت: ولماذا تموت؟ خذ رُوحي أنا، خذ أغلى ما في نفسي وأقدِّسه، واترك بهاءَها يُنير الأرض ويُشرق في أقل فيضه، خذ رُوحي واترك عينيها تحاصر السماء، تتحدى الملائكة، وتُبقي على عشق لا يُبقي ولا يذر.

قال: أنتَ تضحي، وهي تضحي أيضًا.

قلت لها في هدوء ورقرقة دموع: ما ذنب الحياة أن تُترَك كمدًا؟ ما ذنب الخيال الخصب لتتركيه للموت والفجيعة؟ إن كانت تلك هي تضحيتك للحب فاتركيني أضحي، اتركيني أصلي في معبدك، صلاة أخيرة، لعلي أذيب ما في قلبك من قدرة على هجري مرة أخرى،

اتركيني أتمدد على أورجازم العشق العقلي، وتلك النشوة المجنونة في دموعي، لتعرفي مدى الكمال في رغبتي في بقائك، ومدى الديمومة في أمنيتي، فإن أدركتِ المدى في رغبتي، ستُدركك الأمنيات ولو في موتك،

قالت باكيةً: حبيبي، أنا لا أستطيع، أنا... أنا...

قلت باكيًا: ماذا أنتِ؟ ماذا؟ أنتِ راحلةٌ مرة أخرى، والرحلة لا تعرف غفرانًا ولا تمهل، الرحلة لا تعرف إلا الوداع، وحقائب الوجع، وأناشيد الغربة.

قالت: اعذرني، أنا... أنا عروس النيل.

قلت في تعجُّب: ما الذي تتحدثين عنه؟ نعم أنتِ عروس النيل،

ولكن هذا النيل، في دمائي يا حبيبتي، فإن إخترتي الموت، فدمائي نهرك إن أردتِ.

قالت: جبران قل له أن يتركني الآن أرجوك.

انشقت الأرض عن إله الحب جبران خليل جبران، وكأن كل ما أعشقه وأتمتم به في خصب خيالي، يتجلَّى أمامي الآن حيًّا، فعلًا إنها لحظة تجلٍّ مجنونة، حين ظهر فجأة وقال هادئًا: اتركها تمر بسلام، سلام الله عليك وسلام الحب عليك.

قلت وأنا شبه فاقد الهُوية أمام حضرته وعظمته: جبران؟ قديس الكلمات وساحر الحروف وإله الحب أمامي! في أي عالم أنا إن اجتمع فيه مَلك الموت وجبران وحب العُمر! أي جبروت تملكون أيها السادة كي تضعوني في هذا المشهد!

قال جبران: التضحية أيها العاشق، التضحية، حتى الزهرة تضحي من أجل العاشق، تترك له نفسها حبًّا وطواعيةً.

قلت: ولم لا تكون هي الشمس وليس الزهرة؟

قال: تقصد العطاء؟

قلت: نعم سيدي المقدَّس، لم لا تكون عروس النيل للعطاء وليس للتضحية، أليست التضحية في الحب بابًا لتقديم القرابين لنبض قلب العاشق، أليست التضحية وسيلة للقرب؟

قاطعني جبران: التضحية لحظات، والعطاء فيض.

التضحية هي الأب الرُّوحي للعطاء، وحيُه وجبل خُلوته ورسالته، فأنا أريدها عروسًا للنيل، تضحي بنفسها من أجل الحب ومن أجلك، أنا أريدها زهرة، تهدي رُوحها، وأنتَ تريدها شمسًا تُكمل حياة

الزهور، لكن الزهور كاملة، وتكرار لحظة اكتمالها قد يجعل المشهد رتيبًا، بينما لحظة التضحية أقوى من عشر لحظات عطاء، وأيقَنُ، لو تعلمون.

قلت: سيدي، لا طاعة لمعشوق في معصية العاشق، سيدي ومُلهمي أنا أشعر أني جزء في كلمات إيليا أبو ماضي حين قال:

وويح صرعَى الغرام إنهم

موتى وما كفنوا ولا قُبروا

يمشون في الأرض ليس يأخذهم

زهو ولا في خدودهم صعر

لو ولج الناس في سرائرهم

هانت وربي عليهم سقر

أرجوك سيدي أبقِها لي ولو لحظة، دعني أتأمل في عينيها لوحات مايكل آنجلو ودافنشي، دعني أحارب في عينيها طواويس غروري وزهوي، دعني أصارع على مدامعها سقطاتي وانهزامي.

قاطعني مَلَك الموت في شدة: إنه وقت الموت، وقت التضحية، هُبِّي سيدتي فالنيل يناديكِ، هيا عروس النيل، حانت قفزتك الملائكية، حان وقتك وحان وقت قربان الحب الجديد، ليخلد الحب، ليخلد الحب، ليخلد الحب.

نظر جبران إلى الأرض دامعًا وقال، وكأنه يتشهَّد ويحرِّك إصبعه: ليخلد الحب... ليخلد الحب.

هرولت مُسرعًا إليها على صراطها الذهبي المفروش بالأزهار، حاورني الثرى وحاورتني الأشجار، وكأن الأرض الممدودة تطول وتزيد عليَّ

المسافة كي لا أصل إليها، قلت في صوت يعلو تدريجيًّا: لاا، حبيبتي انتظري، وَيحَكم ماذا تفعلون! وَيحكم ماذا جنيت!

أتت اللحظة، ولم يبقَ إلا الفستان الرائع، وسقطت هي عارية كعروس النيل، اختفت عن ناظريَّ ولم تختفِ عن قلبي وجنوني.

نظر إليَّ جبران في انكسار، كأنه يعتذر لي.

قال لي مَلَك الموت: تلك اللحظة لن تقصها على أحد، هل فهمت؟ لقد حضرت مراسم عروس النيل وتسليم قربان جديد لـ"إله الحب"، وهذا ممنوع على البشر، لكن حبيبتك شفعت لك عندي، قالت دعه يحصل على قسطٍ أخير من الروعة، فقد بكى دهرًا، وحان له أن يحصل على لحظة كمال جديدة.

قلت: أشكرك يا سيد الموت، وأشكرك يا سيد...

نظرت حولي مندهشًا حين اختفى جبران في شكل غريب، لم أسمع منه إلا آخر حروف ردَّدها في كتبه، وكأن المشهد يردِّد معه كلماته الشهيرة:

"إذا أشارت المَحَبَّة إليكم فاتبعوها، وإن كانت مسالكها صعبة متحدِّرة، وإذا ضمَّتكم بجناحيها فأطيعوها، وإن جرَّحكم سيفها المستور بين ريشها".

صرخت وقلت: جبران، أين أنت؟ جبران، حبيبتي، حبيبتي، يا الله، يا الله، يا الله!

طار مَلك الموت هاربًا هو الآخر، عاد المشهد كما كان، عادت لي الرؤيا من شباك غرفتي كما كانت قديمًا، رأيت الشارع والعربات وغيرها من مشاهد الحياة الاعتيادية، وتمنيت لو بقيت في مشهد التضحية، تمنيت لو حتى خلدت فيه ولم أعُد لحياتي العادية، تمنَّيت

لو ملكني المشهد بدلًا من أن أملك حياة من مشهد واحد، تمنَّيت لو امتلكني جبران بدلًا من موتي على كلماته وعشقي له ونومي على وسائده المعطرة، تمنَّيت أن أبقى ولو ليلةً واحدةً أخيرةً في حضن هذا المشهد.

لمحت من خلف شباكي فتاة بفستانٍ أحمر، تُشبه ولو من بعيد،

تشبه ولو...

تشبه...

يا الله! إنها هي!

إنها هي في الحرب الناعمة بين التضحية والعطاء، حرب قلبي مع هذا العالم الغريب. إنها هي، حبيبتي عروس النيل.



في العقد الثالثِ ما بعدَ الحبِ

كان صبيًّا يلعب مثل الأطفال، لكن أعمق، كان يظنّ أنه عائد من زمن ما وينكر الناس قوله وإن لم يقله، به نضارة الأطفال وانكسار نظرة الكبار وترانيم الزمن، رأى الرجل فسرّ في وجهه الرباط باسمًا، باسمًا حزينًا في نفس الوقت، قال له الطفل متلهفًا: كنت أنتظرك، لا لا، بل توقّعت مجيئك اليوم، لا لا، بل أستلهمك في لوحاتي انظر.

قال له الرجل: شمس وقمر ونجوم، أي بشارة هذه! هل كنت تتوقّع نبيًّا؟

- الأنبياء في داخل كل منّا ورسل السلام.

- وهل تثق بي كما وثقت في العصفورة؟

- وهل ثقتي عمياء؟

- الثقة كما النظر إلى الشمس تستأمنها على عينك وهي لا ترعى أمانتك، أو كصحبة النار لا ترى إلا ضوءها ولا ترى هي إلا موضع جسدك، أو كمراعاتك لتلك العصفورة،

- وما ذنب تلك العصفورة وما اقترفته من ذنب؟

- وجدتَ أنتَ فيها ملجأ لحنان قلبك ووجدتكَ هي مجردَ واحةٍ في طريق سفر.

- ربما تقسو عليها قليلًا بحكمك.

- لقد جئت إليك مبلغًا لرسالة وحاملًا لكلمات هي مسك طريقك

وأمينة عليك فإن اعتنقتها؛ اعتنقتك، وإن أعتقتها لم يعتقك همسها.

- انتظرتك سنوات. فقل لي أي نبراس سأسير عليه؟ وأي قنديل سيسير على دربه قلبي؟

وقف الرجل ونظر إليه وقال: "أيُّها الصبي لا تجعل ثقتَك هي مفتاحك بل اجعل الشكَّ يحمي ظهر الثقة، فإن سقط ما يحميه وجدت لك حارسًا أمينًا، وإن أتاك الحبُّ يومًا فلا تفتدِه بقلبك، بل افتدِه بروحك فإن أصابك لم يُصب قلبًا نابضًا بل روحًا حرةً مرفرفةً، وافتدِ روحَك بعينيك فإن أصابك الحب بنظرته فلا تنظر إلى شمس أو قمر وتهرب من نظرته، ولا تسألهما هل الحبُّ بلام قمرية أم شمسية بل انطقها فقط "حبٌّ".

وابنِ للناس قصورًا في قلبك قدر المستطاع، فالناس قدر كرمهم وتواضعهم، ولا تصبح للناس متنفسًا فقط، بل متنفسًا لآلامهم، واجعل قلبك مفتوحًا لعناء الناس وأحلامهم، وافرش عتبة قلبك بوريد الأمنيات والأمل، ولا تضع أبدًا عشقًا قد أتاك يا بني، فإن من يضيع العشق يعشق الضياع، ولا تسر أبدًا على طريق الأمل بل سخر عمرك لبنائه، فبناء الأمل أصعب من السير عليه.

لا تمتطي الحلم فرسًا وجوادًا، بل اجعل من روحك فرسًا للوصول إلى سدرة الحلم وغاية الحياة، وانتهِ حيث يريدك الآخرون وابدأ من حيث شئت، اختر لنفسك البداية ودعهم يضعون النهاية، إن كانت سعيدة فهي على طريقتهم، مؤلف العمل يحتاج لمخرج مبدع.

لا تجعل من الحبِّ عقدة لسانك بل تذوَّقه كالسكر، واشتهيه كساعة السمر، وارتمِ في أحضانه كما اليتيم.

الحبُّ أبوك وأمك، أَطِع الحبَّ؛ تطعك الدنيا وتذلل لك الصعب،

ولا طاعة لمعشوق إن فكّر في هجر العاشق.

واعلم أن الدنيا هي انعكاسٌ لك كما صورتك المرتعشة على نهر عذب، فإن كانت صورتك جميلة لم يضرك ولم يهز صورتك بعض الحجر على النهر.

الدنيا قرينك الذي لم تره، ورسالتها كيف تكبر في عين الناس؛ لذلك خلقنا الله صغارًا ثم نكبر طوال حياتنا فهي درس في أن نكبر لا أن نتكبَّر.

أرقيك بالكوثر
وبقُبلة الشمس لجبين البحر

ما بين العشق والخوف مساحات للقلب، مساحة دفء، ومساحة لرحلة عبر الزمن. وما بين العشق ورسائل العشّاق... زمن، زمن لمباركة الحب، وزمن لصب اللعنات، وما بيني وبين حبيبتي رقية، رقية تخرجني من وجع دوار البحر حين أنظر لعينيها، وتحميها من أعين الزهر والقمر.

يا ابنة الحَسَب والنَّسَب، ابنة القمر حسبًا والنور نسبًا، امرحي وسط كلماتي كطفلة تتخطفها الدهشة، وكراقصة تترامى على زنود سطوري، مرض جمالك شفاء لكل من به مرض، ولعنة لكل من تقدَّس بسرِّه، وولادة لكل من عرف العالم على يديه.

العاشق لا يعرف لغة الانتقام، العاشق لا يعرف إلا لغة الفلسفة ولغة التضحية، وإذا مزجهم القلب معًا أخرج أجمل ما فيهم من فلسفة التضحية، العاشق لا يعرف إلا سعادة المعشوق، حتى إن كانت في الهجر، فلا يملك حينها إلا شيئًا واحدًا... الرقية!

رقية عاشق لمعشوقته قبل خروجها من عالمه إلى أبد مؤقت ووقت أبدي، يرقيها في محاولة منه أن تخرج من صدره كما دخان بخور الرقية وهمهمة الزار العشقي الخالص، وكي تخرج مني.. أرقيها، كي تخرج مني، أعمِّدها بالكلمات وأرقيها ببخور نثري وحروفي، أقول لها بصوت نصفه التضحية ونصفه الموت:

رقيتك. رقيتك بكل ما كُتِب من حروف الأرض وما تشكَّلت به الأسماء، رقيتك بإدريسية يوسف وقدسية إحسانٍ وكلمات نزار،

رقيتك بالزهر وبفراش لم يُعرَف سِرُّه، وبألوان قوس قزح العشقية

السبعة، رقيتك ببركة الكلمات ورِقَّة الهمسات ودعوة العشَّاق والعاشقات.

أرقيك حبيبتي بنفسك، وبسِحر عينيك، كي لا يبقى فيك شيء إلا وفجَّره السِّحر وتفجَّرت منه بصيرة العُشَّاق. أرقيك بإحساسي بأول نظرة، وبخفقان قلبي الذي تخبط في نور الحُسن حتى ابتلاه وهداه إليه، أرقيك برباعيَّات الخيَّام، وأغسل عينيك بخمر أبي نُواس، كي تراني مرتين عند الرحيل.

أرقيك بالمدى، وبصوتي في الصدى، حين أزور عالم الفانتازيا بين ضلوعك، أرقيك بانكساري أمامك والتئامك فوقي، جرحًا ينزفني لداخله! أرقيك بمد قلبي وجزره، وطغيان عذوبتك على ملح شواطئي،

أرقيك بدموية شفاهك، وغابات رحلاتي بين شخصياتك وأميراتك،

رقيتك بحفل سندريلا وتفاحة "سنووايت" التي سممتها لكِ من شهد حبي.

رقيتك بسلسبيل العُمر، وبكل لحظة ربتت على كتفي حين بكيت من حُسنك، رقيتك بدموعي التي قتلت مدامعها حين تتساقط بغجرية وجنون مثل شعرك، رقيتك بسيمفونية قلبي السابعة، حين تصعد لسابع سماء وتهبط لسابع أرض أمام نظرتك، رقيتك بخشيتي أمامك وبرهبتي من انكسارك، وبموتي أمام صحو أنوثتك.

أرقيك بالكوثر، وبقُبلة الشمس لجبين البحر كل مساء، أرقيك بنيرفانا أحلامي عنك، وخيالية القمر حين ينعكس على جبينك أقمارًا ويبحث عن نفسه فيك، ولتخرجَ مني لا بُد من أن أرقي نفسي، لكني أكتفي برقيتها، كي يخرجَ منها نبضي الهائم والتائه مني. أُذيقُها بعضًا من دخان الحب وناره التي أحرقتني عُمرًا، وخرجت منها بردًا وسلامًا،

خرجت بعد الرقية.

أنتظر رؤيتها مرة أخرى، بين سراب واقعي وواقعية خيالها، لكنها لم تأتِ، هربت في غابات دخان الرقية وهرب نبضي، هرب نبضي محترقًا مذعورًا، يطعنني كل يوم بخنجر جديد، لا مهرب منها إلا في عينيها، لكني لم أجدها.

سنوات أبحث عنها في الموسيقى والأغنيات، وبين الشعر ومنثور الكلمات، وبين السماء والأرض، بلا جدوى.

رعد قلبي لم يعُد إلا ظاهرة صوتية، فما يهمني هو برق عينيها، هي لحظة انفصام الكمال كي يبحث عن نفسه في شخصين، شخص الحلم وشخص الوجود، وهبتُ نفسي للحُلم، ولم يهبني الوجود شيئًا، حتى وجدت طفلًا صغيرًا يحمل بعض البخور، وقال بصوت غريب: "ارضيني يا باشا"!

نظرت إليه وابتسمت، أخذت نفسًا مِمَّا يحمله من بخور، وقلت لنفسي: "ليت هذا البخور يُرضيني ويُعيد وسط دخانه حبيبتي", لكنه اختفى فجأةً حين فتحت عيني، قد يكون حقيقة أو سرابًا، ما زالت لا أثق في تنكُّر كيوبيد، وما زال الدخان يحملني ضيفًا على الدنيا،

وما زال فنجاني يغلي كالبراكين بحمم العشق ولافا الهيام، وما زلت أبحث عن صفاتها في كل امرأة، كالباحث عن بقايا أشعار محروقة، وقد تعود مع إحدى طعنات النبض... قد تعود!

ما زلت أشعر بضعف آدميتي أمام جنون حواء فيها، كلما سمعت أغنية تذكرني بخوفي من عينيها، كلما سمعت أغنيتي القاسية الصعبة

creep-radiohead

لا تتعجب من تلك الخاتمة، فلها مغزى عند صاحب الرقية!

مذكرات
أحاسيس تحترق

الاحتراق الأول

تحت نهار حارق لا يلهب قلبه بما فيه، يغتسل من الهجر بالماء والثلج والبرد كما الإثم، ينظر للشمس بتحدٍ صارخ حتى تلمع دمعته، ثم يعاود سيره في طريق لا يعرفه لمكان لا يعرفه ولكن يهديه الحب، يمشي في الطرقات كما رقع الشطرنج، خطوات بيضاء وسوداء بلا ملك ولا وزراء، تتحنى آذانه من صوت أنينه فتقطع آخر أوتار القلب ليخر اللحن الأبيض صريعًا، ويسير الزمن وراءه كطبيبٍ نفسيٍّ ويكتب في أوراقه، "هي حالة هجر مستعصية"، وصعوبتها أن الجرح أتى في لحظة اندمال الجرح، حين اندمل جرحُ الوحدةِ؛ أتى جرح الهجر؛ فزاد الجرح اتساعًا وألمًا، وسيظل يهيم في كوكبه الدري باكيًا صارخًا، ويظل الألم هو توأمه الملتصق طوال حياته.

الاحتراق الثاني

رجل ذو شعر أبيض يجلس على منضدة بيضاء، يكتب مذكراته وتسد الأوراق آذانها من جهش بكائه، يعد سنين العمر على الأوراق ويحاول أن يبحث فيها عن الحب الضائع منه، ولا تجد الأوراق مصيرًا إلا انتظار حكم الإعدام كما كل الأوراق لديه، ويرمي القلم بعيدًا حين يكتب اسم حبيبته في الماضي، وكأنه يرمي الحقيقة، التي طالما هرب منها، ويجلس معه الزمن كطبيبٍ نفسيٍّ ويكتب في أوراقه، "هي مسودة وداع"، يحاول فيها أن يودِّع شبابه كلَّ ليلة ويعيش آخر لحظة جميلة في حياته.

حينما كان الحبُّ لغته الأم والحنين هو لسانه، وستبقى الأوراق الملقية على الأرض تعيش، إلى أن تتحول لسفينة كبيرة يهجر فيها الأرض ومن عليها، إلى ماضيه وحبه الأول والحقيقي، حتى ولو على مركب من ورق.

الاحتراق الثالث

تجلس على شاطئ بحر وتمزق عقدًا يخنقها، وأساور في يدها تهديها لبطن البحر، تحاول أن تهرب من قلبها بأشياء تمسُّ قلبَها، ولكن كيف ستهرب من قلبها والنور الساكن فيه يعيش في لحظات سكون واستقرار، وفي الخارج لحظات جنون واستنفار، ويمر الزمن عليها ويمسك قلمه ويكتب، كيف يظن البعض طعم هروبهم من الحقيقة له نكهة، وكيف ستهرب من ألوان الطيف الساكنة على قلبها بإلقاء بعض كنوزه في البحر، لا يوجد حل إلا العودة أو الذكرى أو الكتمان لكن لا يمكن أن تمحي الحب بإسورة أو خاتم؛ لأنه لم يلبس يومًا إسورةً أو خاتمًا، بل يلبس خاتم الشغف وإسورة اللهفة؛ ولا يمكنك الخلاص منهما مهما حاولت.

الاحتراق الرابع

احتراقي أنا.

الزمن، هو احتراق الوقت، وطاعون الحرب الدائرة ما بين الحبِّ وما بيني.

أمرَّت عليكم سنوات أم ثوانٍ، حائر ما بين عشقكم الخالد وما بين هجركم اللحظي ولا أعرف لي تاريخًا أو محل ميلاد، فاخترت أن أكتب

مذكراتي، على قلوبكم، وأتخذ صفحات من شرايينكم ومشاعركم، لعل الوقت يمرُّ على قلبي طيبًا حانيًا، ولعل الحبَّ يمارس طقوسه وأحلامه بداخلكم، فلا تحترقوا الآن، ودعوني أحترق قليلًا من أجلكم، ومن أجل الحب.

لقاءٌ في غُرفة قلبي السريَّة

لقاء تشهد عليه الشمس ويبكي عليه القمر، وما بين الشهادة والبكاء تبقى ذكرى اللقاء في عيون القلب، وعلى شفاه العشَّاق أساطير وأساطير، حيث لهفة العاشق نوعان: منهم مجرد لقاء عاشق، ومنهم عاشق اللقاء ومجنون اللحظة، والجنون في الحب إبداع ومَلَكة، فإن خرج الجنون من مملكة العاشق استقر في ضلوع مَلِكة قلبه، كالخنجر الرقيق المدهون بالعسل والخمر!

هي: عرفتكَ من ظِلِّك، الشمس حارقة هذه الأيام وأنتَ لا تهوى اللقاء إلا في حرارة الشمس ودفء السماء.

هو: كي يكون لنا لقاءان، لقاء الحقيقة ولقاء ظِلَّينا معًا تحت حرارة الشمس، التي تهوِّن من حرارة اللقاء ومتعة النظر لعينيك.

- (برِقَّة): والشمس أحن بقيظها عليك من لقاء عيوني؟ قد أغير منها!

- جرِّبي أن تغيري منها وتلعبي دورًا جديدًا في أغرب مشهد، مشهد غيرة الملكة من الوصيفة.

-أحيانًا أشعر أنك مرآة سحرية، أسألها من أجمل مني؟ فتُجيب: "لا أحد مولاتي"، حتى لو كان هناك من هو أجمل! أحيانًا أحتاج لأن أفتح قلبك كي أجلس في غرفته السريَّة وأعرف ما سر الإدمان!

- لن أقول هذا، بل سأقول: لن يحدث أبدًا مولاتي، فجمالك ليس اسمًا أو حدثًا، جمالك فعلٌ وأنا المفعولُ به.

قد يراها البعض قاعدة نحوية، وأراها أنا وصلةً شعريَّة، وكلمات رومانسية.

- لم تحدثني عن غرفة قلبك السريَّة، هل تخبئ عن قلبي شيئًا ما؟

- في غرفة قلبي السريَّة شجون وحكايات عن ملكات وأميرات رحلنَ من عينيك، استقبلتهم في قلبي، واستقبلنني في قلبك مرات أخرى، في غرفة قلبي رقصات حذائي الحائرة حين يتساءل قلبي: هل الحب حرية أم قيود؟ هل الحب أزلية أم عبودية؟ هل الحب نعمتي أم نقمتي ولعنتي؟ وما زلت أسأل... وأسأل.

- (في دلال ورِقَّة): وهل نظرت لعيوني وعرفت إجابة؟

- عيناكِ لم تعطياني إجابةً.

- هل ما زالت هي أيضًا سؤالًا؟

- بل هي نفسها الإجابة، إجابة عن حُريَّتي التي فقدتها بحُريتي! عن نقمتي التي اخترتُها طَوعًا وكراهيةً، عن هجرتي التي وجدت في ويلاتها وطني الجديد، عن ألم ميلادي الذي وجدت في مخاضه حديقة لذَّتي الحسيَّة والقلبيَّة، عن كياني الذي كشف عن طاقة نور ليجعل العالم ينتظر من فرحتي "بيج بانج" جديد!

- (في خجلٍ): ربما يكون هذا كثيرًا، وهربت من دمائه الحقيقة الغنية واستبدلها بدماء الحب الذكية.

- الكثير ليس عنكِ، الكثير إليكِ، الكثير سهل وصفه، والقليل من صفاتك صعب وصفها، الكثير لا يعيش على نبضي، بل اختار كل قلبي عشاءه الأخير، الكثير لا أعرفه عنكِ، لكن الكوثر أراه في عينيك!

- وأنا أرى في حبكَ مملكة أنوثتي، وتاجًا جديدًا لقصيدة هربت

من مَلاك، ترى في عيني الكمال، وأرى بين ضلوعكَ لحظة الاكتمال، اكتمال عشقي ولهفتي، واكتمال جنوني الذي لا يضل في العشق عن الحقيقة، بل هو الجنون الوحيد الذي يبحث عن الحقيقة، جنون الحب.

- وجمال جنون الحب أنه يظل باحثًا، متعة رحلة قدرية لن يصل غايتها، لأن السماء لم تضع لها نهاية، بل تركت نهايتها مفتوحة كلحظة دراما يظل الكل يتأملها بلا انتهاء للمتعة فيها، متعة القلب، ومتعة البحث عن النهاية، حتى إن وجدوها كان عصير الوصول إلى الحقيقة لذة للشاربين!

- هي الجنة، هي الجنة، هي لحظة ما تتركه في قلبي عند نظرتك الأخيرة عند نهاية اللقاء، هي لحظة الوعد والوعيد، وعد بحب أكبر في لقاء قادم، ووعيد بالمجهول عندما أشتاق إليك.

- الحب يشبهك كثيرًا.

- وكيف يشبهني وهو أعظم من أن يشبه عاشقة وعاشق!

- يعشق مثلك اللون الأحمر، يعشق كل نقيض ونقيضه.

يعشق شيطنة دماء اللحظة في ملائكية اللقاء، ويعشق سريالية الصدفة رغم ترتيبه للميعاد، ويعشق أن يستبدل خط الاستواء على خريطة الأرض، بـ"خط الاكتواء" على خريطة قلوب العشاق، ويعشق أن يتحدث بلغة الجنون كي يصل إلى تمام المنطق.

- (في عتاب رقيق): لكنه ليس مثلي، لماذا أعشق كل شيء ونقيضه، وأنا أعشقك ولا نقيض لك إلا الكراهية، ولا نهاية لحبك إلا مرارة الهجر.

- أن تتناقضي مع نفسك في العشق لهو عين المسموح وإن كان

ممنوعًا، فالعشق كما تعلمين ممنوعُه مرغوب، يتناقض فيكِ الأمل في لقائي مع الخجل في نهايته، وهي حلاوة الحب، وتتناقض فيكِ النظرة في عيوني مع حُمرة خجلك، وهي شهية الغرام، ويتناقض فيكِ العذاب في غيابي مع العذاب الآخر في نعيم اللقاء، وهي لحظة الحقيقة، وإن اجتمعت كل المتناقضات وجدت حُريتي في عشقك، كما وجدت سجني الانفرادي على أطراف قصرك المُرعب، قصر جمال رحلتُ إليه أزمنةً، لأبحث فيه عن زمني الجديد.

- صهوة جواد أبيض، جامح كالأسطورة، يطير بقلبي إلى صحراء لا أعرفها، لكني تمنَّيتُها عندما تنظر إلى عينيَّ، يطير بنفسي الحصان إلى موانئ عزلة لا أرجوها، لكني انتظرتها، ويهاجر برُوحي إلى صدفتي الموعودة، وما أغرب أن تكون الصدفة موعودة إلا في الحب، فالحب صدفة لقاء وعدين، أو وعدان يلتقيان وسط أنين الصدفة!

- تجعلين من قلبي عاشقًا برتبة فارس، وأنا انتظرت فيك الأميرة منذ النظرة الأولى، وما أجمل أن أجد في عشقي صاعقة الأرقام، حبي الأول، نظرة أولى، أميرتي الأولى، قسمتي الأولى، رحيلي الأول.

- (قاطعتني بحِدَّة): رحيلك؟

- أشعر في ضغطة يديك بقلق بالغ.

- وكأنما هزَّني قلبي عندما صاح بالعامية "بعد الشر" وصاح بالفصحى "حفظك الله لي وحفظك الحب لرُوحي"، والتقت عامية قلبي بالفصحى، فدبَّت في أوردتي قوة أنوثة مولودةٍ من ضعف أنثى، فاعذرني إن أوجعتك الضغطة، لكني أقلق عليك.

- لم أتوجع من ضغطة يديك، بل من نظرة قلقك، وكأني أرى دمعة كانت في ولادتها على رموشك صبيَّة، وانقلبت في قلبي كهلًا يتألم في

وحدته، وكأني رأيت لحظة هجر في بلُّورة عينيك السحرية.

- وثانيةً سأردِّدها بالعامية "الشر برًّا وبعيد"، لا يهجر منكَ شيءٌ في نفسي إلا وأجبره على العودة ولو بعد حين، ولا تهجر مني دمعة في لقائك إلا وأُعيدها فرحةً حين أتذكرك، ولا تهجر مني وردة في همسك إلا رددتُها بنفسجةً في أنينك، فأي هجر، بالله عليك أي هجر!

- الخوف هو الصديق الخائن للعاشق، يصاحبه أيامًا وشهورًا، ثم يُباغته بالحيرة والأرق المضني، يصبح كيانك كله تابعًا لزلزال الخوف من الرحيل، وكلما ازداد ملكوت الهوى اشتدت رهبة الخوف والقلق.

- كيف أرحل وعهد الهوى لم يجف حبره على أطراف أصابعي، وما زالت ريشة كيوبيد تدغدغ ذرات أنوثتي كما الريشة على وتر العود، وما زالت همساتك تعزف على فيولين حياتي، فيخرج اللحن العشقي كما يخرج الحصان العربي الأصيل من فردوس التخيُّل.

- أرى في عينيكِ وعدًا، وأرى في قلبي لهفة، وما زلت أسمع موسيقى الفرح، بين اللهفة والوعد، ولا يرقص للموسيقى إلا وعد عينيك المُنصبّ في دمائي، فهل تتراقص فيكِ بعض لهفتي؟

- لهفتك هي يومي ومستقبلي، إن غبت يومًا عني نظرت للأمام، وإن رأيتك حلمًا استنشقتك حاضرًا وحضرة غرام وزار هوى.

- اجعلي الراحة في نفسي من عذب كلامك تنساب على راحة يديك، حتى إن اجتمعت الراحتان انفجرتا بنور الأمل وعناقيد البهجة، ورصِّعي قدسية حنيني بتيجان صنعت من الخلود على شواطئ عينيك، واعصفي برُوحي كما هدر الموت وصاعقة النظرة.

- أحيانًا أغار من حروفك، أتمنى لو أصبح حرفًا من إبداعك، وأذوب على إحساسك فيهم.

- عينك تستفز في رُوحي خمود حروفي، فأحتطب منهم ماس الشعور وأرقيك ببعض بخور النشوة في حروفي، فأنتِ حروفي، وأنتِ إبداعي وغاية كلماتي.

- غروب الشمس وعيناكَ، لم يتعود قلبي أن يتقاسم طعم الرَّوعة مع مشهدين، بالله عليك اختر لي مشهدًا منهما.

- غروب الشمس، وعيناكِ، لم يتعود جسدي أن ينتفض من البرد أمام عاصفتين من الجمال، لكني سأتقاسم المشهدين، كما يتقاسم الناس "العيش والملح"، سأتقاسم مع الدنيا عينيك والشمس!

- الآن موعد رحيلي، ولا أقول إلى اللقاء، بل أقول إلى الهوى.

- أترحل سندريلا قبل منتصف الليل؟ كم الساعة الآن يا حبيبتي بتوقيت جمالك وفي عالمك الدُّرِّي؟

- أستودعكَ الله وأستودعكَ الحب، ولا أودِّعك أبدًا ما حييت.

-(يتنهد): سترحلين من أمامي، ولن ترحلي من أجزائي.

فحاولي أن تجعلي مشهد الرحيل بالتدريج، أفلتي يديك، ثم أغمضي عينيك، ولمِّي خصلات شعرك من على كتفي، كي يرحل كل منهم ويودِّعني على انفراد، ولا أقول إلى اللقاء، بل أقول إلى اشتياق.


موعدُ نومِ الزهرِ

جنة عشق تتزين من عينيها، مكتوب في السطر الأول ما منكم إلا واردها، ورموش تسدل الستار على آخر من يسكنها.

من أنا؟

هل تتساءل؟

أنا آخر من يسكنها.

أنا رُوح مشطورة إلى نصف عاشق ونصف مريد، ووجه مشطور إلى نصف متأمل ونصف مسحور، وقلب مشطور إلى نصف نابض ونصف يرتعش، ومنذ دخلت الجنة لا أسأل إلا سؤالًا واحدًا، هل سأخلد فيها؟

لم أجد اللون الأبيض فيها كما قال راوي العشق، لم أجد ضبابًا وغيومًا تأخذ قلبي إلى بلاد العجائب، لكني تعطَّرت بكينونة تلك الجنَّة، وتبلَّلت بأمطار نبيذ تسقط من عنبٍ يتطاير، وتشربت تفاصيل الروعة حتى وجدت في يديّ ملائكةً تتطاير، رأيت النهر الجاري بهمهمات العشاق، والشجر الوارف الذي يظلل عبير صدورهم، ووقفت أمام شلال يتدفق قالوا عنه نبع الجمال، رأيت لأول مرة سحابًا أصفر، بل أخضر، بل أزرق، بل يتلون كما إحساسي، ويتغير كدهشة ملامحي.

وسألت سؤالي لمرة ثانية: هل سأخلد فيها؟

لا أحد يجيب على سؤالي، إلا زهور كانت تتحدَّث عنها، هل غابت، هل جاءت، هل صادفت المارة هناك؟

أزهارًا لا تعرف إلا أبجديات جمالها، وخمرة رقتها.

قالت لي إحدى الزهور "من أنت؟"

قلت: أنا عاشق!

ضحكت عامين وأنا أنتظر الرد.

- لِمَ تضحكين؟

- مرحلة العشق ولت منذ زمن، فأنت الآن إحدى التفاصيل كما الزهرة والسحابة والعنب المتطاير، أنت الآن إحدى ملامحها، ولست بعاشقها.

فسعدت كثيراً بتخطي مرحلة العشق،

- هل سأخلد فيها؟

- ستخلد، حتى ولو حدث الهجر، حتى ولو غادرت الجنَّة ستبقى لوحتك معلقة فيها، و. حان موعد نوم الزهر.

- هل الزهر ينام؟

- كما الشمس تنام، كما الأمس ينام.

- هل العشق ينام؟

- نعم.

(زادت دهشتي)

- كيف؟

- يغمض عينيه على قلبك في كل مساء، ولهذا تشعر بالسهر ليالي وليالي، وعند الصبح حين يستيقظ تشعر بالفرحة المستعرة في صدرك من احتمال لقاء قادم.

- وفطوره؟

- بعض من نبضك، اتركني أنام الآن.

رحلت عن الزهرة قليلًا؛ كي أرتاح، وأتأمل في الجنة.

وحتى الآن حين أروي القصة، لا أحد يصدق أن العشق ينام، كما الشمس تنام، كما الأمس ينام، ولكني أصدق؛ لأن حديث الزهر كما حديث العشق.

أصدق حديث!

ستائر دانتيل ومسرحية غرام وأنا

لا شيء يعانق دمائي إلا دموع مخلصة وأسيرات عشق، يحسبهم العاشق أغنياء من التجمُّل!

ستار مسرح في صيف حار، لن يحضر جمهورك، إلا قليلًا، وأنت تُحَضِّر شخصياتك ولمساتك الأخيرة في كل زوايا المكان، وتقول في ثقة مُطلَقة: مسرحيتي... مسرحيتي.

حياتك مسرحية هزلية، أحيانًا ترفع الستار بيديك ويُنزله القدر، وأحيانًا يرفع القدر ستارك وتُنزله بيديك، لكن المسرحية تُعانق حتى فراشك، وتعانق كل الأخضر واليابس فيك، تقول في صوت مزعج "استعدوا" اليوم تنطلق حفلة جديدة، أحيانًا تختبئ الشخصيات خوفًا من العرض، ولا يدفعها للمسرح إلا تراجيدية وبعض كوميديا سوداء وحلاوة رُوح!

تتخبط بين الفيروزية في أذنيك، والفيروز في عينيها، تتخبَّط بين فردوس عينيها وتختبئ من عيون الفردوس، تستتر كفعل، وتُضاف كـ "تاء التأنيث"، وهنا يبدأ العرض، "سكوووت"... ابدأ.

تُغلق أنوار القاعة في موعدها كل مساء، ويبدأ التعريف بشخصياتك في مسرح حياتي.

الشخصية الأولى: سنة.

أنا سنة، أحب أن أرافقك وأذكِّرك بنهايتي في أول أيامي، ماذا ستحصد يا ضائعًا عشقك! سأمر عليك كما مررت عليك من قبل ولم

تُلقِ حتى تحية، كيف أُظلُّك بمخمليَّة نثري وشعري دون أن تحميني بقلب نابض!

كيف أحرسك بعين ساهرة، دون أن تنظر إليَّ بعين عاشقة! كيف أتهجى حروفك وأنت مُصِرٌّ أن تسميني "عامًا" وتهرب من اسم "سنة"، ما زالت أنانيتك ونزعتك الذكورية تقول هذا عام، وهذه سنة! ما زلتَ تهرب من كل مؤنث كما أهرب من ضعفك.

أنا سنة... أنا سنة.

تصفيق حار

أخاطب الجمهور: لماذا تصفقون؟ إنها كاذبة، وسيشهد عليها باقي أبطال المسرحية، انتظروا وسترون المفاجآت.

الشخصية الثانية: شهر

أنا شهر، يتمنى مروري بردًا وسلامًا دون أن أذكره بعشقه الضائع، تغتاله متلازمة الاحتياج، وتصهره صاعقة الحب ذهبًا و"حلقانًا وإسورة"! أحاول أن أوقظه بلا جدوى، في سباتٍ عشقيٍّ تام، قلت له: حاول أن تنقذ حبك.

قال: فلينقذني الحب برحمته!

تصفيق حار

أخاطب الجمهور: مهلًا مهلًا، لماذا تصدقون الكل ولم تسمعوني بعد؟ يا لكم من مشعوذين مثل تلك المسرحية البائسة!

الشخصية الثالثة: يوم

أنا يوم، أزاحم ضلوعه بأفكاري، فيزاحمني بعصيان نبضه، أزاحم كل خلاياه بالذكرى، فيسبقني ويزرع كل مسامه أشواكًا وبقايا خريف! أحاول أن أُفقده الصبر ليتحرك، فيحاول أن يقول عني "مجرد يوم تافه". أنا يوم، أنا الأقوى، عشق في يوم، وهجر في يوم، وحُلم في يوم، ويأس في يوم، يصنع مع أحلامه وأوهامه سفينة نوح ويهجر أرض العشق ومَن عليها رغم الطوفان! ماذا أقول... رحَّال غرام.

تصفيق حار

أخاطب الجمهور: مهلًا مهلًا، مجموعة مجانين كتلك الشخصيات، هل فرحتم بالاتهامات الموجَّهة لي؟ أهذا ما يُسعدكم يا جمهورًا ساديًّا مجنونًا؟

الشخصية الرابعة: ساعة

أنا ساعة، أقوى من يوم وشهر وسنة، أمرُّ عليه زاحفةً، ويتلوَّى أمامي كما الثعبان، يدعو علو مزماري ويلعنه، يقول لو تأجَّل الهَجر ساعةً، لو تأجَّل اللقاء ساعةً، ويظل يتمنَّى، وتضيع أمانيه على ميناء العُمر وسفينة الخلود، أنا ساعة بعُمر عام، ألهمني الشَّعرُ الأبيض حكمة التوقُّع، قد تتوقَّع عامًا كاملًا من ساعة، قد تتوقع عُمرًا كاملًا من ساعة، لكن لا تتنبأ بالساعة الأقوى، ولو تأمَّلت لعام كامل! لا تعرف متى سأمرُّ عليك، لا تعرف متى ساعة عشقك، توقَّعني في أي مكان وفي أي زمان، وبأي لون.

توقعني أملًا ويأسًا وبقاءً وشقاءً وفناءً، لكن أرجوك... توقَّعني!

تصفيق حار

الشخصية الخامسة: لحظة

أنا لحظة، أنا الأولى، أنا الأقوى والأكثر تأثيرًا، وأقول لعزيزتي الساعة، قد يتغير العُمر في لحظة وليس في ساعة، لهذا أنا الأقوى والأبقى والأكثر تأثيرًا. وأقول لرافع الستار: جمعَنا العُمر بلحظات لن ننساها معًا، وجمعتنا اللحظات بعُمر أيضًا حين عشقت! هل تذكُر يوم أن قُلتَ مُستَعِد أن أُقبِّل يد اللحظة التي جمعتكَ بها! هل تذكر يوم قلت دعونا نعود للحظة الحقيقة؟ أيها النبض المهاجر إلى جبينها! هل تذكر كل وعودك لي في لحظة؟ أيها العاشقون، تذكروني، أنا لحظة، أقتلكم، وأدفنكم، وأشرب من دمائكم العاشقة وأخبئكم تحت عباءتي الوثيرة، وأمنحكم صكَّ الجنون في لحظة، أيها العاشقون، تذكروني، وستذكرونني، فأنا لحظة!

بكاء عُشَّاق

الشخصية السادسة: حائط

أنا حائط بلا ألوان، أتحدث كل لغات الأرض الحيَّة والمقتولة! لا تتعجَّب، هي لغة العشَّاق تسمَّى لغة القتلى، أنا لستُ نهاية أو فاصلًا أو حدًّا أو عازلًا، أنا بداية شيء، دائمًا أنا بداية كما حائط مبكى الغرام! قد أكون حائطًا تكتب عليه للذكرى، قد أكون حائطًا تكتب عليه تاريخ العشق، قد أكون حائطًا تخبط رأسك فيه لحظة هجر، لكن صدقني سيدي، صادفت كل أنواع العشَّاق، جرحوني بميداليتهم، كتبوا على قلبي القصائد، ذبحوا الشجن الخالد في رُوحي بتواريخ الفراق، لكني أبقى صامدًا جدًّا، وأقول لصاحب المسرحية: نحن شخصيات

المسرحية، نحن الأقوى، وستبقى ضعيفًا. أحاول أن أُلهمك القوة منذ سنوات بلا جدوى، الضعف فيك ليس صفة، بل تعويذة غرام!

تصفيق حار

أخاطب الجمهور: حسنًا حسنًا، حان دوري كي تسمعوني.

أيها التُّعساء اسمعوني، وسأُقدِّم نفسي كشخصية في تلك المسرحية المجنونة.

الشخصية السابعة: أنا

أنا عاشق، نهاية مأساوية لعابر سبيل، طريق أضعف الهِمَّة، وهم به الضَّعف، خطوات سكرانة تترنَّح على جَلد الذَّات وتعذيب الأعمق داخلي، الكل يُدافع عن نفسه ويتهم العاشق: سنة، يوم، شهر، لحظة، حتى الحائط يتهم العاشق، أي جنون هذا وأي خرافة!

غربان الليل تنقر أحلامي في كل مساء، وأنا أحاول سحر الجنيات العاشقة، وقصاقيص الغرام تسقط فوق رأسي، وأنا أحاول، تأملوا في حروف ملكتني، حروف غرام: غ ر ا م!

كل حرف يحاول أن يمتلكني، وأنا أحاول:

غ: غرامٌ يأتيني، ظاهرُه الرحمة وباطنه عذاب.

ر: رهبةٌ من كل ما فيها.

ا: أحلامٌ تقتل، آناء الليل وأطراف النهار.

م: موتٌ لذيذٌ.

كل حرف يحاول أن يأخذني لجزيرته الغارقة، وأنا بلا طوق نجاة، أنا سهرة نجم يهذي ويحاول أن يصنع برجه على لون الخطوات! أنا نزهة قلم يحاول أن يهرب من كل ما يسطره، فيزيد الحروف المبعثرة على هوامشي.

أنا آهة عميقة في موَّال شعبي، أحاول أن أهرب لشعور الناس وأقتلهم ألمًا، صدحة كروان، لن تراني، لكن غنائي وشدوي يعجبك، فأنا العاشق.

لن أتهم الحب بقتلي، بل أعترف الآن لكم، أنا القاتل، أخذت من قرارها سكيني وطعنت الحب وغدرت به.

غدرت بأعز من ملكت ومن امتلكت ومن مَلك ومن امتلك، غدرت برائحة الرمَّان وفوح الزهر وربيع العُمر وسدرة مُنتهى غرامي! اعذروني، أنا قاتل، كما اعترفت يوم أن قتلني الحب، أعترف أني قتلت الحب عمدًا، مع سبق الهجر والترصُّد.

أيها الجمهور، أنا قاتل.

ينزل ستار المسرح، فعلٌ قدريٌّ مُبهَم، أخرج من العرض، تغتالني شخصيات المسرحية، عام وشهر ويوم وساعة ولحظة وحائط، أسقط أمام الجمهور، ولا يحرك أحدٌ ساكنًا، يقول همسهم جزاءً لمن اعترف بقتل الحب، لكني لم أنزف دمًا، بل حروفًا. ووصيتي لكم:

اجمعوا الحروف من دمائي، وكوِّنوا بها اسم من عشقت، ستر الله على الحب، ستر الغرام على من أحب، ولن يسقط ستارٌ آخر!

لا أعرف ما هي الخطيئة القادمة لقلبي وللحبِّ، أتوقَّعها، وأظنُّها خطيئةَ الانتظار، انتظار لشيء لا يعلمه بعد الوداع.

ربما انتظارها، ربما انتظار حبٍّ أغرب، وإن كنت لا تؤمن بالحب الثاني، ربما تنتظر كهولة قلبك، أو ربما تنتظر موت الحبِّ على ذراعيك، أو موتَ حبيبتك على ذراع الحبِّ الآخر.

لكنَّها الخطيئة الأخيرة، وأظنُّ أن خطيئتي الكبرى، هي عيناها اللتان قضمت فيهما تفاحة الخطيئة، بدلًا من أن أتلذَّذَ بالجنة.



رقصةٌ مع الأرضِ

مخلوق من نور عيون البشر ودموع أمانيهم، لا تخرج من كونه إلا لتتنفس صبحًا ورديًا وتعود إليه، لا تنظر للقرصان على أنه مسلوب العين ولكن منحه الله هدية واحدة.

لا تنظر لليل على أنه ظلام دامس ولكن قل نور مختبئ سيعود، لا تخرج من نور الحب إلا بظل الأمل، فالشمس الحارقة تتصيد يأسك كي تقتل صبحك، الأمل غدير ينساب من كف ملائكة تجتاح الزهر، الأمل وليد الحكمة وصوت السماء، الأمل سفينة نور تبحر في شرايينك فلا تضيِّق عليها الطريق بيأسك.

من يأمل في تلك الدنيا له قلبان؛ قلب ينسى به ماضيه، وقلب متفائل بما سيأتيه.

من يأمل يجد الأرض بساطًا خفيفًا لا يسمع فيها طقطقة الكعوب، ولا يجد عليها زهرًا ذابلًا أو نور الشمس يموت، فاجعل من أحلامك عودًا من ياسمين تلف به خاصرتك، وتدور وترقص به مع دوران الأرض.

لا تجعلها تسبقك بخطوة، در معها فهي تطلب منك رقصة واحدة، وتمدُّ لك يدها كل صباح بأمل أن تقبل منها الدعوة.

لا تسترق السمع على ما سيأتي، فمستقبلك حديث الغرف المغلقة في السماء، لن تسمع أبدًا ما يدور هناك، ولكن حاول أن تتمناه الأجمل، فصوت دعائك صوت آخر في الغرفة قد يرجح كفتك في غد أفضل.

حاول أن لا تموت بدمعة، لكن بوصية أمل على أطراف أصابعك؛ ليعود نبضك في الدنيا في صدور أخرى.

لا تنظر للناس وتتوقَّع منها الشر، بل انظر إليهم كأنواع عطور وتوقَّع دائمًا طيب الشذا، حتى العطر الذي لن يعجبك لن تؤذيك رائحته، فالدنيا تسير بذوقك أنت، وأملك أنت.

لا تنظر للشرير على أنه مخلوق من نار وأنت من نور، ولكن قل فقد الأمل في لحظة، فخرج منه النور، فحاول أن تهديه إلى بيت من نور جديد، وحاول أن تُخرج منه الجمال الدفين.

لا تنظر أبدًا للغيم على أنه مطر قادم فقط، بل لوحة من لوحات الله؛ ليريك كيف يكون اللون القاتم أحيانًا بشرة خير، وكيف تكون العتمة تبشيرًا بالبركات، وكيف يكون اليأس تبشيرًا بالأمل، أقبل على الأمل لتجده بابك، وتجده مفتاح حياتك ونجاتك، واجعل من قلبك واحة نور نخيلها الحبَّ ورملها الأمل، فالدنيا أمل باقٍ، والحبُّ أمل يبقى، والله أمل سيبقى.

امرأةٌ شربتْ من عمرِ الزهورِ

كنَّا أطفالًا لا نعرف أن الطائرة الورقية التي في أيدينا هي العمرُ، لم نعرف سرَ بناء قصور الرمال على الشُّطآنِ ليهدمها موجُ البحر! لم نعرف الحزن إلا في جرس الحصة ولم نفهم معنى الفرحة إلا في جرس الفسحة.

كيوبيد كان يتمتع بطفولته في قلوبنا، كان يجهز في أثناء لعبنا وانشغالنا بعض سهامه، يصنع من شقاوتنا أجنحة ليطير، وأول من يطعنه من سكن بداخله سنينًا، لكنها ليست الخيانة، فخيانة كيوبيد خيانة مقدسة، هي الحبُّ.

وكأن طفولتنا مهد للعشق، تعلمنا الحساب والأرقام؛ كي نحسب عددَ سنينَ العمرِ قبل لقاء الحبيب، تعلمنا اللغة العربية؛ كي نقرأ شعرًا عنه ونثرًا، تعلمنا الجغرافيا؛ كي نجد خارطة جمال تأوي أحلامنا معًا، وتعلمنا التاريخ؛ كي نجد عزاءً في قصة حب ضائعة أو صرخة آه.

لم أعرف قَط لماذا يقولون عمر الزهور، وهل للزهور من عمر؟

لم أفهم تلك الجملة إلا حين رأيتها تسكن الزهر وتشرب من عمره.

لم أعرف قَط لماذا يحسبون العمر بالربيع ويقولون: "الثلاثون ربيعًا". إلا حين رأيتها تأوي الربيع أعوامًا بين ضلوعها فيرد لها الجميل حنانًا وروعةً.

حسبت عمري قبل أن أعشقها خريفًا وحين التقينا تجمَّع خريف عمري مع ربيع جمالها،

وكأنها من روعتها لحظة ميلاد الكون دون انفجار إلا انفجار السلسبيل الغرامي العذب.

لم أعرف لماذا ألقي أسناني في الطفولة وأقول "يا شمس يا شموسة"، هل كنت أقصدها وأنظر إليها في لحظة الغروب! وهل كانت تعيد لي ما فقدته كما أعادته لي في أول لقاء؟

وحين نقول "هاتي سنة العروسة"، هل كنت أقصدها؟

وأنظر إلى طرحتها تتسربل بالشمس وتتحنى بالقمر والنجوم.

لماذا عشقنا في طفولتنا غزل البنات! وحين كبرنا لم نعرف إلا قهر الحبِّ وصخب البنات؟

هل كان قربانًا لننجو من عشقهن! وهل نجونا؟

ومن يريد النجاة من غرق الحبِّ؟ لا أحد.

ويمرُّ العمر حقائب سفر وغربة مشاعر وانشقاقًا في جيش شرايينك حين تعشق.

شرايين تجد حمايتك في وحدتك وشرايين تجد متعتك في عشقك، والكل يعمل باسم جسدك الوطن.

لا يعرف الحبُّ إلا لغة الثورة وإعلان دولة الألم وسقوط القوة.

نتعلَّم في طفولتنا الكشّافة، خيم وبضعة أخشاب وشعلة نار، وحينما نكبر نزرع تلك الخيمة على جبين من نعشقه، ونمسك شعلة النار لنكتشف المجهول. لا نكتشفه أبدًا حين يكون المجهول هو أنت في معادلة الحبِّ.

ونحتفل في طفولتنا بعيد ميلادنا، نضيء شموعًا وشموعًا، ثم نحتفل بقطع الحلوى دون شموع، ثم نحتفل ببضع زجاجات، ثم لا

نحتفل أبدًا، حين نعرف أن الميلاد ليس عيدًا، إنما الحبُّ هو العيد، ولابد أن يكون لنا كل عام فقط عيد الحبِّ متغلبًا على عيد الميلاد، إلا حين يلتقيان ونحتفل بـ"عيد ميلاد الحبِّ".

وحين ننام يراودنا حلم أن نطير، نسأل كل من حولنا في طفولتنا لماذا لا نطير؟ نظلُّ ننظر للسماء وللطيور ونقول ليتني أملك ما تملكينه يا عصافير، ليتني أملك جناحًا من أجنحتك أو سرعة في التحليق مثلك، ولا نعرف أبدًا أن العصفورة تنظر إلى عينيك وتقول ليتني أملك قلبًا يعشق مثلك يا إنسان، ليتني أقف أمام نافذتي وأتأمل مثلك في لغة العالم وتعاليم الشمس بدون بيوت القشِّ والغربة! هل بات العصفور سجينًا في براح العالم؟ أم أنت سجين نفسك ونافذتك؟

حين تعشق، ستكون مثل العصفور سجينًا في براح الأرض، وتخرج من سجن نفسك. إنها أمنية العصفور التي تتمناها، وتندم حين تحقّقها!

حين نكون أطفالًا؛ أول ما سيجرحنا زهرة أو نحلة! وآخر من سيجرحنا أيضًا زهرة، لكن قرصة النحلة حينما تكبر أصعب، وجرح الزهرة أعمق وأجل وأكثر قدسية.

حين نكون أطفالًا نرسم أنفسنا نحمل بالونات، نرقص حول الأشجار ونرسم دكانًا للحلوى!

وحينما نكبر ونظل نخربش في الأوراق، لا نرسم إلا امرأة واحدة، وكأنها تربت على كتف هذا الطفل الذي كان داخلك قديمًا يرسم، وتمرُّ لحظة "ديجا فو" عليك فتبكي! تنهمر دموع العاشق بردًا وسلامًا فوق الأوراق.

وتظلُّ لغتك العربية هي لغة الضاد، ويظل الحبُّ هو لغة العينين والعذاب والعمر.

ويظل الحبُّ هو الشيء الذي كلما استأنسته ازداد توحشًا، وكلما وضعته بين ضلوعك هدم حصونك وبنى قلاعه الشامخة داخلك.

وتظلُّ تحلم بالطفولة؛ لتهرب من الحبِّ، ويظلُّ الحبُّ يحلم، بضحية جديدة وضلع جديد ووطن غريب.


محدِّثُكم مِن عشقهان

حين أرفرف كفراشة فوق زهور لا تعرف إلا جمال عيونها، حين استلقي بجسدي على وتر في عود عزف به القمر، وتدللني الحياة كابنها المفضل حين أراها.

وبنظرة واحدة في عيونها أدخل مدينة بلا اسم ولا عنوان، لكني سميتها؛ لأنها مولودتي، أو اختراعي، سميتها "عشقهان".

محدثكم من عشقهان.

هنا والأرض المفطورة على الحسن والحسن المفطور على رمش العين أحدِّثكم، لا يوجد حولي إلا الطيب وأمطار مفعمة بهدايا الله، هنا تعريفٌ آخر للنور، هنا تجد النورَ كأنه لبن أبيض يملأ دنياك، لا تملك أن تغمض عينيك فاللحظة دون النظر إليها ستخسر فيها كثيرًا.

هنا تتخبط في جثث الفرسان ورائحة شهادتهم في معركة الحبِّ مع رمش العين، تتخبط في الألحان وفي الأحلام وفي الأشجان وفي كل غير المرئي في عالمك.

تستلقي على ظهر ملاك ليطير على شريط حياتك بسرعة الضوء، ثم تكون أمام عينيها العسلية كقنينة خمر، تحتاج لكل حبوب التخدير في تلك اللحظة كي تفتح عينيك.

هنا تتيمم كل اللحظات بتراب الكمال وتتوضّا بعضها بمياه الخيال، هنا تتحاكى زهور عن يوم قيامتها في تلك الأرض العسلية.

محدثكم من عشقهان.

هنا يتبخَّر نبضي ببخور الشمس المشرقة في عينيها، وتسافر كل شراييني في لحظات الرمشة والرمشة، هنا أبتهل وأدعو الله أن أنجو عاشقًا بدلًا من أنجو مفارقًا.

هنا أتحدَّث للدنيا من عالم أروع، ويكتمل غروري.

هنا يخلع الواقع كل ردائه ليغتسل في بحر الحسن.

محدثكم من عشقهان.

الساعة تدقُّ الثانية الآن، وما زالت تحتاج العودة للوراء.

لا يريد الزمن أن يتحرَّك من أمام عينيها، يتبختر في قلبي خلخال فضي سقط من الحور، ما زلت لا أعرف صاحبته ففي تلك الأرض العسلية آلاف الحور، هنا لا ندفأ أبدًا فالجو صقيع مثل الخجل ومثل الضعف أمام عينيها.

محدثكم من عشقهان.

هنا أسراب حمام تحمل دمع العشاق وتمطرها فوق الزهر، تتحدَّث أشجار وتتجمل أزهار من ماكياج المشهد، يظهر جلال الكحل وعذوبة العطر، والآن خرجت من مدينتي الفاضلة، وسقطت المدينة تحت حصار سيوف أخرى، ولكني أحاول أن أهرب سرًّا؛ كي أصف المشهد؛ كي أصبح محدثكم من عشقهان.

وفي يوم ما ستعود المدينة، وأعود لنفسي.

آخرُ فانتازيا دراويشِ الحبِّ

فانتازيا العشق تحاصرني وحمى الغرام وأعراضه وتخاريفه قد بدأت في العودة.

أمتعتي معلقة ما بين حقائب القدر وأوجاع الرحلة، ويظل العشق هو غربتي الأولى والأخيرة، وعيناك هي عاصمة القلب الأولى وإمبراطوريته التي لا يغيب عنها الأمس، ويبقى الأمل على عينيك يتيمم بطيب انتظاري وينتظر المطر الأسود من كحلك.

سؤالٌ؟

ونخرج من بقايا المشهد لتسأليني: "ماذا يبكي في مشهد الغروب؟"

وأجيب: "انتظار الشمس المحترقة لحضن البحر، وانتظار القمر الباكي ليرقص وسط نجومه، وانتظار العشَّاق لأقلامهم الغارقة في حبر الليل وحروف الحبِّ، وانتظاري أنا لهذا المشهد؛ لأنظر في عينيك وأحترق من شمسك؛ فأغرق فيكِ بحرًا لأعيش في خارطة غروبي!".

تردُّد؟

وأطير إلى شرياني؛ لأسأله أنا: "ماذا يبكيك في همسي؟"

فيجيب السلم الموسيقي لنبضكِ حين تهمس، أسمعه "دو"؛ دولة عشق تنتظرك في عينيها أميرًا، أسمعه "ري"؛ رياح وعواصف تمتلك المشهد، أسمعه "مي"؛ ميناء أنوثة وسلام بلا جواز سفر، أسمعه "فا"؛ فأسير شريدًا أتخبَّط ما بين تفاصيل يديك العاشقة.

صاعقة الحب

أغلق فجأة ستار مسرحية حياتي هذه وأسأل نفسي: أي جنون هذا؟

وأجيب على نفسي ملفوفًا بستار المسرح: جنون العشق.

كلمات تترهبن في دير عينيها لتعطيها السكينة وتأخذ منها صكَّ القدسية، جنون العظمة ينتهي بانتحار نبضة، أو ثورة حلم غاضب يتمنى أن يتحقق، جنون القمر حين يتمتم بكلماته السحرية فيسير العشَّاق نيامًا خلف صوت الغرام.

"أعد فتح الستار يا هذا، فقد أعطيك دورًا في المسرحية".

أجيب على نفسي: لكن المسرح في قلبي، فأي دور ألعبه، أنا المالك والمُلك.

فتجيب ذاتي: موهوم، لا شيء يسير يسيرًا، قلبك مفتوح للعالم، أنت تكلمني الآن؛ لأن الحبَّ منحك الغرور فقتلت إنكار الذات فظهرت أنا.

"حسنًا حسنًا، فصل آخر من تلك المسرحية، أكملوا".

يقف القلب على خشبة المسرح؛ ليصيح "أعشق أو لا أعشق. تلك هي المسألة".

أقول له: "خرجت عن النص!".

فيقول: "أي نص وأنا عاشق؟ لقد خرجت عن كل نصٍّ منذ أصبحت أدندن كلمات شكسبير في ملكية عينيها وفي بلاط سلطانها".

شهرزاد أول من تسمع صياح الديك

اسم غريب لمشهد غريب، لكن أليس حقيقيًّا؟

شهرزاد لم تقع في الحبِّ؛ لأنها لو كانت وقعت في الحبِّ ما سمعت صياح الديك، ولا أحست به ولم تشعر إلا بصياح شخصياتها الغرقى في عين من تعشق.

مخرج المسرحية: آه آه آه، أصبحت الآن مخرجًا، ستوووووب لماذا قطعت المشهد يا هذا؟

قلت: لأن شهرزاد لم تقع في الحبِّ، شهرزاد لم تقع في الحبِّ! شهرزاد لم تقع في الحبِّ، قط.

تصفيق حار، ونظرة عين.

فانتازيا

سرب طواويس "نريد أن نطير يا هذا، سمعنا أنك تملك إكسير الحياة!".

قلت "أنا؟ من قال لكم هذا؟".

- رأيناه في عينيك على خشبة المسرح، هل تذكرنا؟ في مشهد الديك.

- لكنكم طواويس! أي جنونٍ هذا؟

- شهرزاد سمعت الديك، هل تعرف لماذا؟ لأن شهريار أكبر طاووس فينا! هل فهمت الآن؟

- آها، صاعقة الغرور، كنت أخمن هذا.

قلبي: ستووووب، مشهد مبتذل جدًّا.

أنا: فانتازيا؟ دراما؟ كوميديا سوداء؟ هل فهمت المشهد؟

- لا يشرح نفسه أبدًا.

يفتح الستار، مرة أخرى ولا أرى إلا نجمة يقف لها كل جمهور نبضي

تصفيق حار

هروب إلى غرفة المخرج

أنا: الدور، الآن.

المخرج: هل جننت؟ دور البطولة؟ من أنت لتقف أمام النجمة؟

- دعني أخرج لها.

- ألوو أمن النبضات، خذوا هذا المجنون وألقوه في الخارج.

- لن أخرج، أتحداك أن تخرجني يا أيها الـ....

تخاريف عاشق

عرق عرق يتصبَّب من كل مكان في جسدي، موسيقار أنوثة يعزف لفريق الحور في غرفتي والحبُّ ثالثنا.

ما زالت أرى المخرج والنبض وشرياني ونفس الفانتازيا.

ما زالت كل الأطراف تجلس على طاولة التفاوض إلا الوداع!

والمسرح ينتظر البطل، والقلب يرى المشهد مبتذلًا جدًّا.

ما زالت كل الناس تسأل: لماذا لم تعشق قط شهرزاد وعاشت فقط لـ"حواديت ما قبل النوم"؟

ما زلت أراها كل ليلة، ويصيح حرس القلب وملائكته الله، الحب، الوطن حول مراسم إلقاء عروس النيل في عينيها.

وأقسم أن، أقسم أن، أقسم أن لو هبطت تفاحة الآن في يدي وتحدثت لي في مشهد فانتازيا آخر وقالت أنا السبب في أنك ترى حواء الآن؛ لقبلت التفاحة ثم خلدت إلى النوم.

المخرج: "مشهد آخر يا هذا؟"

أنا: "لماذا لا تناديني باسمي يا، هذا؟"

- هل من عاشق يملك اسمًا، العاشق صفة، لا تملك اسمًا بعدها.

- دور البطولة؟

- أحلم أكثر، ربما، من يدري.

هروب مفاجئ وزوبعة وطريق صواعق، ثم أعود إلى الواقع لأسمع آخر جملة من: "كم ملعقة سكر؟"

أنا: "نظرة واحدة"!



في عينيها

في عينيها تتهادى طيور الجنة، وتتزين كل الحور على شرف الحفلة، ويحاول بعض النسيم أن يغريها بطيب الزهر الخالد فيها مقابل رمش منها، لكن ترفض.

وتحاور نبضًا يعشقها فيردُّ عليها بنبضات تغني أنتِ الأجمل، أنتِ الأحلى، ما رأيت امرأة قد صادفها الحسن في كل ميناء إلا هي.

لم أرَ شخص الجمال، ولكن أتخيَّله رجلًا قد تعب من الحكمة فوضع في عيونها ما يخلد اسمه.

لم أرَ شخص البراءة، ولكن أتخيَّله كطفلة تغزل حلمًا بضفائرها وتنتظر العيد على جبين حبيبتي.

لم أرَ شخص إحساسي، ولكن أتخيَّله حصانًا أسود يرمح في ليلة قمر يبكي وهي تنظر للسماء.

لم أرَ كل هؤلاء ولكني رأيتها، فوجدتهم نائمين على راحة يدها، ينتظرون خلودًا قادمًا.

ينحني قلبي إليها فيعتصر ضلوعي فيُخرِج من ضعف المشهد رجلًا أقوى، وتنظر عيني في عينيها فأرى ملاكين يتعانقان بحب على ضفاف نهر من عسل مصفى وخمر.

في عينيها أرض للسحرة والحُواة، وأنا حيلتي السحرية الوحيدة نبضي الضارب في، في عينيها رجل مثلي، ولكن قرَّر أن يهجر فصيلة البشر وينتمي لفصيلة المعجزات، في عينيها سحاب أبيض أحاول أن أشقه بسيف نظراتي فيمطر ينابيع من ماء البنفسج والعنبر.

في عينيها خمر كيوبيد حين يئن من السهر ووجع العشاق، وديوان تتشكل حروفه من الشمس ومن أمل قادم ومن حلم أجمل، في عينيها بحور تحمل سفنًا تحمل مهدًا جديدًا للقمر، وأمراء أقاتلهم بسيف كبريائي ونصري كما الهزيمة سيان، في عينيها علامات ملائكة غارقة وأباريق من نجوم السماء تصبُّ النور وتمضي في رحلتها، أو بحر من دمع القديسين يغتسل فيه الحلم ويترك كل خطاياه، في عينيها شموع تحتضن الليل وتعطيه أمانًا وضياءً، وطيور حمام زاجل تحمل رسائل عشق وجسد ربيع قادم، في عينيها زمان آخر، أنا رجل عجوز يلهو مع الأطفال، حائر في عينيها ما بين الحكمة والطفولة، في عينيها وطن فلاسفة لم يدخله إلا ملاك واحد وتفلسف، في عينيها كواكب أخرى ورحلتي المجانية لمجرة الحسن، في عينيها زهور لا تشرب إلا براءتها ولا تغتسل إلا من شمس أنوثتها، في عينيها السيرة الذاتية لفينوس وآلهة الحبِّ، في عينيها وصيفات جمال الجنَّة ولغة الشعر، نثر سحري يحتاج لقلم من فخار الروعة؛ كي يشعر به، في عينيها ترك الحبُّ وصاياه العشرة ورحل، ونشيد سحري لفتح مغارات العشاق، وكنوز الدهشة، ورؤى تتحقق وتباعد بين حلم اليقظة ويقظة الحلم من الحب، وأساطير عن أميرات وفراشات تتكلم وأكثر.

يا الله، أنا عارٍ جدًّا أمام عينيها وهي نقطة ضعف، أحتاج لمصباح من مصابيح الجنة؛ كي أدخل عينيها وأكتب "أعشقها"، وأحتاج لقلب أفصح؛ كي يقرأ شعر العين ويتعوذ من أمراء آخرين وأن يحضرون.

أحتاج لأن أدخل عينيها أميرًا وأخرج أميرًا للمطر، أن أدخل عينيها ملاكًا وأخرج فيلسوفًا، وما بين كوني ملاكًا وفلسفتي أتعلَّم لغة القمر وحساب السَّنة الضوئية لرمشة العين.

آه آه من عينيها، احمني إلهي من عينيها.

امرأةٌ تنامُ على نوتةٍ موسيقيةٍ

مذكرتي العزيزة

تأخَّرت عليك قليلًا منذ آخر نبضة، شمسية كانت أو قمرية، أو دون حروف التعريف كحال عشقي، دثريني بين صفحاتكِ قلب يرتجف، وأيادٍ مرتعشة وطفل يتغنى بين حدائق حروفكِ، همهمي في أذني باسم حبيبتي ومشطي لي شعري بمشط من سطور الكلمات، واسجنيني في عنبر حبٍّ، قضبانه البنفسج وعذابه الياسمين والحارس رمش عيون لا يكتحل إلا بأنيني، أحتاج لأن أخرج من بين سطوركِ بقصيدة أو بعض حروفٍ؛ كي أشرب منك نبيذ العشَّاق، الحروف.

عضيني في يديّ كما الأطفال؛ كي أجد في معصمي ساعة منكِ، أرى فيها تقويم العشّاق وفجر وجودهم وغروب شموسهم.

عطري قلمي بحبر الربيع؛ كي أكتب عنها زهورًا وعن عينيها غابات مسك وفيح حضور، واقرئي على عينيها السلام، بلغيها من نبضي السلام، قولي لها بعامية اللغة "نبضي واخد على خاطره منكِ إذا كنتِ فص قلب وداب!".

اعصري أحلامي زيوت جمال ملائكية تتعطر منها ستُ الحسن فتصبح أحلامي وجودًا وكيانًا، ودعيني أتنزه بين صفحاتكِ مع حروف اسمها؛ كي نقع معًا في مثلث برمودا العشق الأبدي بلا عودة.

اعذريني إن لم أكتب تاريخًا فوق حروفي العاشقة، فالحبُّ له الحاضر والحياة، لكنه بلا تاريخٍ؛ لأنه يملك التاريخَ، لن أقول يوم كذا أحببت، ويوم كذا أيقنت، لكن سأقول في يوم من ذات الأيام عشقت!،

عشقت ولن أحتمي بالسماء من العشق، فالسماء لها كيوبيد وألف سهم، لن أحتمي بالأرض من العشق، فالأرض أسيرة جن الحبِّ وألف سندريلا، لكن أحتمي بضلوع الأوراق، قلب رقيق هشّ، وبيت صغير من قشّ، وحلم وديع كطفل بين بياض الصفحة البريء.

بداخلي مَلاك، يريد الحرية منذ عشرين عامًا، لم تمنحه الحرية طفولتي، ولم تمنحه الحرية شبابي، فامنحيه الحرية في عينيك ولو ساعة، يتحمم فيها من نهر القديسات في آخر رمشة منكِ، وامنحيه الأبدية في عذب حديثكِ وقلادة القمر بجمال عينيكِ.

مذكرتي العزيزة

أشتاق لقدرتك في شق أنفاسي كيما تجدي آخر طيب حديث عنها وسط شقائق نعمان النبض العاشق ونهاوند أنوثتها، أشتاق لضمة حضن الصفحة حتى أرى بين صفحاتك كرمشةَ الأوراق، وقلمًا يشطب سطره ما بين تردد وجنون عاشق، أشتاق لأن تحكي لي عن نفسكِ، كما أحكي لكِ عن نفسي، أحتاج لجلسة تنويمك بين كل حرف وحرف؛ حتى أعترف بما أخفيته في حديث آخر لقاء.

اجعلي من سطوركِ سريرًا مصنوعًا من نوتةٍ موسيقيةٍ؛ كي تنام عليه ملهمتي، فيصير اللحن داخلي أرقى، ويصير عذابي رغم صعوبته، بطعم القيثارة، يصير الحب موسيقارًا يحرك عصاه في وجهي، فأنحني احترامًا وأكمل العزف على السطور.

اجعلي من قلبي بروازًا، لآخر ضحايا الحبِّ بشريط أسود رقيق؛ ليكون عبرة لكل حرف عاشق، فتصير كلماتي بطعم الشجن وبرائحة الفناء؛ كي تتعلم لغة الخلود في قلب ملكتي.

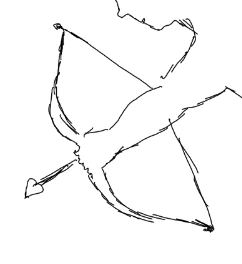
لفّيني بحزام ورود ناسف، وامرأة كالقنبلة المسيّلة للدموع، ومثيرة كالدموع، وحفلة غجريات مما تنبت أرض المشعوذين؛ كي أرقص بين الورق ببدلة بيضاء، وأعود برسالة حبٍّ جديدة من بقايا همجية الحفلة.

خذيني في رحلة مجنونة لـ"طقاطيق" العشق، واخسفي بي سابع عشق، واحكي للناس عني أني "كأن العشق انشق وبلعه!".

لا تغفري لي خطايا الصفحات أبدًا، حاسبيني إذا تحدَّثت أمام حضرة الأوراق بغير خشية ورهبة، وأشعلي في قلبي النار حريقًا لا ينتهي إن لم أذكر اسمها في مذكراتي، اجعلني خطًا فاصلًا ما بين الرهبة والرغبة، ورائحة عطر تثمل من مقدرات الهوى.

مذكرتي العزيزة

أنتِ سجينتي، وحبيسة أدراجي، لكنِّي أخشاكِ كما أخشى الحبَّ، من الغريب أن يخشى السجّانُ سجينَه، لكنكِ من رائحة عينيها؛ لهذا الخوف له طعم آخر بين صفحاتكِ.



أنا كيوبيد

لا تنظر للشمس، إلا لتتعجَّب كيف لا يغار القمر من الحُلَّة الصفراء لها وهو يلبس هذا الزيَّ الأبيض القديم.

ولا تنظر للسماء، إلا لتتعجَّب كيف لا يغار من الأرض التي يمشي عليها عشّاق ومحبون.

لا تخرج من نفسك إلا إذا وجدت باب خروجك، فحبُّ الطرف الأوحد كالسير على الصراط فلا القلب يعود إليك ولا القلب يلاقي جنَّته الأبدية.

من يحدُّثك الآن؟

تخمينك صحيح، أنا كيوبيد.

أنا تحت ردائك، فوق جبينك، تحت جفونك، لن تخرج منِّي ولا أخرج منك، أنا كل أمانيك، مصيرك، قدرك وجنونك، أسكب شعري في شرايينك حين أريد فتتحول نظراتك أبياتًا وقوافي.

أنا لست ملاكًا كما تظنُّ، لكني صورة من صور الشرِّ، أنا جنُّ الحبِّ، لا أدور حولك في هالة ملائكية كما تتخيَّل، بل أنتظر فتورك، ضعفك، هيامك، انكسارك، وخوفك من الفراق.

غريب أمر الإنسان، أقتله ويرسمني على أوراقه ملاكًا، أطعنه

ويتحلى بالطعنة كما المجنون النشوان.

أنا الظُّلُّ، ظلُّ السماء الذي تحمله الأرض بقلوب وأحلام وأمانٍ، ظلُّ الإنسان الذي يهرب منِّي تحت الأشجار، وظلُّ العاشق وصورته فوق النهر حين يداعب زهرةً من فصيلة تحبني لا تحبني، وأعلم أني حين أريدك عاشقًا فأنت عاشق.

سأهديك علامات للحبِّ؛ كي تعلم أنك محتلٌّ كليًا بكيان أنوثتها، مبتسم باكٍ أمام عيونها، وباكٍ مبتسم وحدك، قلمك يتخبط في كل الأوراق بحثًا عن كلمة إجابة وشفاء، لا يدق قلبك إلا لانتظار شيء لم يأتِ بعد.

ولا يخُرج من صمتك كلمةً إلا عن العشق وعنها، تصبح هي مدى بصرك حيث نظرت وجدتها، وتصبح أنت مدى بصر الحب حيث ينظر يلقاك، نبضاتك كالرحالة في جسدك حيث يدقُّون خيامهم توجعت، وعصاك السحرية تصبح صوت سخريتي وضحكي.

لا حيلة لك، لن تفعل شيئًا إلا حين أريد، فلا تقل أبدًا دخل الحبُّ قلبك بل دخل قلبُك مملكةَ الحبِّ.

صبرًا صبرًا يا مسكين، فالسيف السحري وضعته تحت رموشها لتحارب أوهامك وجنونك، وشراب مصيرك في دمع عيونها، احمل إناء قلبك واشرب وقر عينًا.

غريب أمر الإنسان، أضع الخنجر في صدره يبكي ويصارخ أذن الليل، وإن نزعت الخنجر يتمدَّد في حضن الليل ويبكي ويسميه فراقًا، وبين الخنجر والخنجر يرسمني ملاكًا بالسهم المضحك هذا.

أي جنون هذا؟

عد معي ساعات الحيرة والقلق المضني التي صببتها فيك، ثم

سميني ملاكًا، عد آيات عذابي وجحيمي القائم فيك ليلًا ونهارًا، عد بصمات أصابعك على الجدران الوردية للجنة الموعودة، عد رحلاتك وهجرتك إلى مدن الطير ولغة الشمس ونحيب الياسمين، ثم قل عني ملاكًا يا مجنون. أنا كيوبيد!

أبحثُ عن سيفٍ سحريٍّ بين رموشكِ

أحسبني الحبُّ.

أحسبني بشارات ورود من مخدع تسكنه الجنيات وست الحسن، لا أملك عمرًا إلا وأشطره اثنين، كما أيامي، وحين تسألينني عن عمري أقول: "عشرون عامًا قبل ميلادي، وعشرة أعوام بعد، بعد وجودك".

حين أسأل شمسًا غاربة: "هل أنا من المبشرين بجنة عينيك؟"، حين يكون شعار حياتي ما بين ضلوعك لو لم أكن عاشقًا لوددت أن أكون عاشقًا.

أحسبني الحبُّ، حين تكون خمائل أوردتي أرضًا تصبو وتكفكف شمس عيونك، وتكون الحيرة في عينيك دليلًا لأقتل آخر مثل شعبي "اللي يسأل ميتوهش"، كيما أسأل في عينيك دربي وأتوه؛ كي أقتل آخر الأمثال الشعبية "الحلو ميكملش"؛ كي يروا لحظة اكتمال أمام عينيهم بلا عصا سحرية ولا خفة يدٍ؛ كي أقتل آخر مثل شعبي في عينيك "الحي أبقى من الميت"، فأموت في عينيك وأبقى أفضل من ألف حي.

أحسبني الحبُّ، حينما أرقي جبينك من بيت مظفر "أيقتلك البرد، أنا يقتلني نصف الدفء ونصف الموقف أكثر"، حين تكوني أنتِ نصف الدفء ونصف البرد ونصف الموقف! وألملم في رقتك تسابيح رجولة وهديل حمام، وأهزّ برأسي كما المجنون في حضرتكِ وأقول بكل صوفية في جمالكِ "حـــــي"، "جمالك حـــــي"، "جمالك حـــــي"، وأعود إلى وعي مع كأس من دهشة الموقف وتعجب اللحظة؛ كي أعجن نفسي

بالدهشة والعجب، وبحروف كلماتي شخصٌ مدهشٌ يعجبكِ، وشخص عجيب يدهشكِ.

أحتاج لأن أتجمهر فردًا وأتفرد أشخاصًا في قلبكِ؛ كي تستشهد شخصياتي في بحر صفاتكِ عجبًا؛ كي تستشهد نبضاتي على أوردتك شجنًا، أحتاج لأن أحدث مشاعركِ، وأقول لها بكل ضعف تذوقيني، ضعيني بين شفتيكِ كقطعة ملح حلوة من بحر الشعر وأكثر، وقبلي عينيا لأذوّق نفسي بنكهة الكاميليا، من غادة الكاميليا.

اعترضي كل ملاذ في قلبي، خيمي في وجهي رباعيات ومعلقات؛ كي تقتلي متتالية الحبِّ الرقمية، وتشطبي حرفين (حب)، وتقتلي ثلاثة حروف (قيس)، وتبقي على أربعة فقط (ليلى).

ارتعشي على صدري كما السحر الأسود؛ كي أثقب من بين عيونكِ فودو أنوثة، لأتوه في نيرفانا الحب بقنديل جمالكِ، أبحث عن سيف سحري بين رموشكِ؛ لأحرر في صدري عبيدَ اللحظة، وجواري كمالك.

سافري على تأملاتي، قديسة وتر أبيض، تعزف بجيتار أسباني لحن أميرة عربية؛ كي تحضر حفلة تأبين جنوني، وتظل القديسات تتحضر للحفلة، وأظل أنا أحتضر، للحفلة.

ارتجليني، ارتجلي رجولتي في لحظة استلهام، وارتجلي جنوني وعزة نفسي؛ كي أصبح آخر أفكاركِ، وآخر هامش في صفحة حسنكِ.

أحسبني الحبُّ.

حين يكون هناك بشرٌ يتحدثون عن الحبِّ، وبشرٌ يتحدَّث عنهم الحبُّ، وفي عينيكِ، أحسبني من نوع البشر الثاني.

انسجمي مع أفكاري، كفكرة حب كان مزاجها حبًا وغرامًا، وصبي الخوف على جسدي أمانًا؛ كي أخرج من متلازمة جمالكِ رجلًا لا يخاف

حريقَ الشمس ولمعةَ عين القمر؛ كي أخرج منكِ وتكون ناركِ بردًا وسلامًا.

قولي لي بالله عليكِ، لماذا تنامين على عقارب ساعتي؟ وأنا أحتاج إلى مرور الوقت؛ لكي أعرف عمري.

لماذا أشيب وأنا في نفس اللحظة عاشقٌ؟

أحسبني الحبُّ.

حين أراكِ في بيت قلبي ستَ البيتِ وزوجةَ شرياني، حين أراكِ تلاعبين نبضي برقة كـ"جليسة أطفال" أحلامي، وحين أراكِ في حديقة خواطري امرأةً يسكنها الحرف كما الجنيّ، فأنا لا أرى نهايتي في عينيكِ؛ لأني في عينيكِ الرجلُ الأولُ، لكن... لامرأة أولى وأخيرة.

لا تتعجبي صديقتي، فكل مرة أصارحكِ فيها بحبي، يأتي القدر ليفيقني من جلسة التنويم المغناطيسي أمامكِ؛ كي أكتب على عينيكِ حروفًا عاميةً، لامرأة هي فصحى الأنوثة.


ألقاكَ في عُزلةٍ أخرى

قال قريني في لحظة لي وأنا أجلس عند البحر الوهمي الذي أصنعه في غرفتي:

- بماذا تفكر الآن؟ فيها؟ أم في نفسك؟

لا تُجب الآن دعني أحدِّثك عن شيء ما أحاول منذ فترة أن أجلس معك وأنت في حالة وحدتك الخالصة القوية وأن أصبح كل صديق وكل حبيب وكل آخر، تحاول من فترة ليست بقليلة أن تهرب منِّي وكأني سأحاول أن أحاسبك على ما فرَّطت من الحبِّ ومن نفسك ولكن لا، سأحاول أن أنصحك وأصبح بك أقوى ومعك القوة، وسأبلغك نصائح دائمًا أذكر بها نفسي.

لا تحاول أن تهرب من التفكير في الموت فالموت هو رؤية الحياة بأسلوب مختلف وليس نهاية الحياة، إن فكَّرت في مرة بالانتحار فلا تلم نفسك، بل ثق أنك تفهم الحياة أكثر، من لم يفكر في الموت مرتين في عمره لم يفهم المعنى الدقيق للحياة ولكن أخذ الفكرة بسطحية.

أعرف أن كلامك ليس صنعة لسانك بل هو صنعة بدنك بالكامل، إن خير فخير وإن شر فشر، وأعرف أن عينيك تتنفس أيضًا، تتنفس جمالًا تحتاج إليه ووجه تحن وتشتاق إليه، وقلبك يتنفس الحبَّ، وأعرف أن الجمال هو ما خُلقت أعيننا لكي تراه في هذه الحياة، أعرف أن رحيلك في شبر من تلك الأرض قد يكون أقوى من رحلة إلى كوكب آخر لو كان رحيلًا من أجل الحبِّ.

وأعرف أن الحبَّ هو أمنيةٌ إن وجدتها بدأت التمني، وهو الحقيقة الوحيدة التي لا تتكسَّر على كذبة ولا تتبدَّد على سراب، أعرف أن رفضك لنفسك أحيانًا هو شفقة عليها وقد يكون إحساسًا بقيمتها وقد يكون تساميًا بقدرها، وأن الإنسان مغرور جدًّا كي يتذكَّر تاريخ ميلاده ولا يتذكَّر تاريخ وفاته، وأن عيوبك لا تستقيها فقط من طباعك ولكن من تفكيرك الدفين فيها، وأعرف أنك عندما قرَّرت الرحيل لم تكن متهورًا ولا دجالًا لكنك منطقت الخيال وتخيَّلت الواقع الآخر، لا أتهمك ولكن اليوجا الحسيَّة التي تمارسها كل صباح لن تفلح في استعادة شيء فقدته، وأنك لو فكَّرت في غدك ونسيت يومك هذا سيصبح كل غد هو اليوم، فالماضي لا يعيد نفسه إلا إذا أعدت الحاضر، خذ من ماضيك خبرتَه وليست مآسيه وفرحه وليس دموعه، اجعل حنينك حيًّا لا تحن أبدًا لشيء مات، فحنينك له أحد تعريفات الموت.

وأعرف أن الصحراء واسعة جدًّا كي تملأها بدموعك فلا تفكر أبدًا أن الأرض ضيقة كي تبكي فيها بل هي واحة دموع، تدبَّر نفسَك واستحضر رائحة الندرة في قلبك؛ كي يصبح هذا العود الأخضر بقوة الحبِّ وبصبر المحبة، ولا تحتاج ولكن تمنى فإن هربت من حاجتك إلى أمنيتك تجد شيئًا قد يتحقق؛ لأن الحاجة أبعد من التمني عن تحقيق الرغبة، وأنا أعرفك جيدًا، عشقت ورحلت وصبرت وتعلمت وبدأت وانتهيت في مكانك، لكن لا بد أن تعلم؛ خير من أن تكون امرأة في قلبك أن تكون في قلب امرأة، فتعلَّم وحدك وابكِ وحدك فعشقك وحدك لن يخلو من الدمع ومن التعذيب، واعلم أن كل واحد منا يسير إلى نوره ولا يعلم، حتى وإن كانت كل الطرق ظلام فخلاصك في النور ولكن يبقى سؤالك "متى؟".

واعلم أن بكاءك ليس نهاية هذا العالم ولكنك ستجد حقيقة العالم

في إحدى اللحظات عند انتهائك من البكاء.

فصدقني هي البداية، واعرف أن الحب حقيقة كما الجنَّة حقيقة والنار حقيقة والله حقيقة والكون حقيقة، فلا تدع رحيلك عن عالم الحبِّ يهدِّد أفكارك عنه.

واعلم أن المال هو السلطان وما لا يشترى بالمال يشترى بالزيادة فيه وما لا تحققه بالمال لن تحققه بغيره.

واعلم أن الكل مخلوق يريد الحب ولكن الحب يريدنا كل في وقته وكل في لحظة ما.

واعلم أن كل من رحل عن الحبِّ الأول يؤكِّد كذبه وكل من فيه يؤكِّد صدقه، وفي ذلك خير للعالم كي يبقى الحب الأول والثاني والأخير هو الحب، واعلم أن طريقك لو مفروش بالصدق فقد سار عليه الشيطان أيضًا، فالشيطان رغم قبحه يعشق الورود.

ستظل طوال عمرك تبحث عن طرف الخيط وتبحث عن من يجدك الكمال ومن تجده الاكتمال ولكن لن يوجد أبدًا هذا الكمال، فالحب جنون ولكن المشكلة أن الحقائق في هذا العالم عاقلة جدًّا.

مفتاح القوة كلمة لا، لا ترحم لا تبكي لا تترك لا تشفع لا لا لا، فهل أنت لا أم نعم؟

واعلم أن الكون كله يقول حبِّي هو الأعظم، ولهذا الحبُّ مغرور جدًّا وشخصيته هي الأقوى؛ بسبب اعتقادات شخصية، لا تتمنى الموت كثيرًا ولكن فكِّر فيه، فالموت يذهب لمن يريده كما الأمنيات، جدِّد أملك كما تتجدَّد فيك دماؤك ولا تعتزم النهاية قبل أن تبدأ، في عالمك أنت لا شيء أفضل، ولهذا الكرة الأرضية دائرية؛ لأنها تنحني لكل منّا على حدة، لا تمت قبل أن تعيش ولا تعش باحثًا عن شيء ما

فبحثك عنه دائرة مفرغة فلابد أن تعرف أن بعض الأشياء تبحث عنك وبهذا تزيد ثقتك أكثر.

لا تجعل من الحبِّ وجبتك المفضلة؛ لأن المجاعة قادمة لا محالة، وستبقى وحيدًا مرة أخرى؛ لأني راحل الآن.

صديقي العزيز، دعني صوتًا مخلصًا يفكر معك، قبل أن تصل إلى مرحلة لا رجعة فيها.

ألقاك في عزلة أخرى.

عيناك الباليرينا الأولى

أنا لستُ وحيدًا جدًّا حين أصاحب عينيك، فلا أتفرَّد فيها، بل أنهل من تفردُّها لتكراري، ومن خصوصيتها لعموميتي وانتشاري، ومن بسمتها لقلمي وشعري.

ظننت أن عينيك هي أكبر حيلة سحرية للملائكة، حين يلهون بغطاء الشمس الأبيض ليُخرجوا عينيك وحمامًا زاجلًا وزهورًا، لكنّي اكتشفت أنكِ الحقيقة، وقلبي هو الحيلة السحريَّة.

اشتقت كثيرًا لسؤالكِ عن الساعة، حين توقَّف الوقت والمكان عند آخر لحظة، ولم تخرج قدماك من رمال الساعة المتحركة؛ ليشير توقيت القلب دائمًا إلى عاشق إلا ربع!

اشتقت كثيرًا للحلم على أطراف يديك، فأنا قُبلة بين يديك تنتظر عاصفة شفاهكِ، فانفخي القُبلة بين يديكِ؛ لأطير إلى العالم، قُبلة تغني وحلم يعود.

أحتاج لآخر رقصة باليه فوق جبينكِ؛ لأراقص عينيكِ الباليرينا الأولى، وافتحي الستار لعينيكِ لأرى نفسي في العرض الأول؛ ليكون العرض "بحيرة الوجع".

انفضي عن قلبي الغابات وأشجار اللوز، تلك وصية آخر نبضاتي إلى عينيكِ، فارتحلي بإعصار أنوثتكِ الغراء على صدري؛ كيلا تبقى الغابات تشاكس أنطونيو، ولا يبقى إلا اللوز، مداعبًا لخد كليوباترا!

أنا لا أنحني إلا تقليدًا للشمس؛ لأمسك طرف ثوب وصيفة السماء؛

كي تتنعمي كل ليلة بـ"ماكياج" من نجم لامع، أو حفلة زفاف قمرية، وتعودي إلى قلبي ملكةً لا تقول إلا لمن الحبُّ اليوم؟

لا تقفي كثيرًا بين عظامي ولحمي حين أتعطَّر بالخلود، أخاف أن يخطفوكِ من أمام عينيَّ، فأخرجي من بين ضلوعي ميلادًا جديدًا لحواء، وخروجًا جديدًا من الجنة، إلى جنتك الموعودة!

انفجري على صدري "بيج بانج" جديد؛ لنُخرِجَ للحياة حياة أخرى، ونُخرِجَ للحب انفصامًا في شخصيته، ونُخرِجَ للوجود أسطورة رجل بنصف جسد امرأة!

تعالي نوعد الزهر بندى آخر لم يحلم به، ندى من خجل الحب وحياء العشاق، بللي الزهر بملء ديكِ؛ ليشرب من خط العمر بكفكِ، شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

اسكِني أوراقي، أشباح جمالٍ وجنون، حتى يغار القلم من عذاب الأوراق، وتغار الأوراق من نشوة الكاتب، ويغار الكاتب من كل سطر مشيتِ فوقه بفستان الوصف وكعب الكلمة!

أخرجيني من أنفاسكِ طفلًا يصارع الرياح، ورجلًا لا يفهم إلا لغة البنفسج؛ لتطير بنفسجة في دمائي، سكَّرها أنفاسكِ ولونها رقتكِ.

احتويني؛ كي لا يبقى من أناملي إلا ثلاثة أصابع، يخرجون من بين دمائك، الأول يشهد أن جمالك باقٍ، والثاني يحمل رايته البيضاء، والثالث يحمل رايته السوداء محذرًا من نوة جمال قارسة.

اجعلي أنوثتكِ ظلًا لشمس يقيني، نواجه بعضنا صباحًا، وفي الغروب نحتضن المشهد في حضن البحر، فتصير النار بردًا وسلامًا وجمالًا.

فصِّلي فساتينكِ الملكيَّة من أوراق شعري، فإن كشفت، كشفت عن جمال وأنوثة ومعانٍ، وإن غطت، حضنت شعرًا وحروفًا وسطورًا.

احصدي من بين صفاتي سنابل قمح صفراء، تزرعينها في صحراء عيونكِ، فتكون أول فرصة لي كي أنضج، وآخر فرصة لي كي أعانق المدى!

دعيني أرتمي في أحضان غرورك، فإن تواضع، كبَّرت رجلًا يعشق، وإن تكبَّر، صغَّرتِ طفلًا يحتاج!

دعيني أكون لأول مرة رسولًا أنانيًّا، لا يبشر العالم بجمال وسلام من عينيك، لكن يستأثر به وحده، ويحتفظ بسره الجميل.

دعيني أزاحم فلسفة عينيكِ، حق يشهد بتفرُّدها، وخير يداعبها بالطيب وبالزهر، وجمال يرسمها على السُّحب والأمطار، فيكون في فلسفتكِ الحق والخير والجمال على قلب رجل واحد. هو أنا.

افترشي رباعيات الخيّام على صدري؛ كي تتمرَّد على رباعيتها، فتمنع حسد العشاق بالخمسة، وتشهد على رقتكِ طوال الأيام السبعة، وتبصم على جمالكِ بالعشرة!

اتركيني لحظة ميلاد مؤجَّلة بين يديكِ، أو زهرة ما بين خصال شعركِ، زهرة لا تشتاق إلى الشمس، أول زهرة لا تنمو إلا بليلٍ حالك من شعركِ.


خيانة نبيلة

للحبِّ حواس خمس، أضعفها الحنين وأقواها الرهبة.

في بعض الوقت نخاف من الحبِّ، نخاف من قلوب نعشقها وتعشقنا، نخاف من انحناءة الزهور للسيد كيوبيد، وانحناء كيوبيد للقمر، وانحناء القمر للعشق.

نخاف الوصول إلى المثالية بقلب نصف مثالي، أو الوصول للكمال مع عالم ينقصه شيء ما، يرهبنا الحبُّ، يقتلنا الحبُّ.

نتصيد أخطاء قلوبنا ونبحث عن النهايات السعيدة، دائمًا نبحث عن النهاية بسرعة، وإن لم تأتِ قتلنا البداية بسرعة.

وعندما نريد الحبَّ وطنًا للخوف، يصبح الخوف فينا وطنًا للحبِّ، فنحبُّ الخوف ونحبُّ الدمعة، نتأمل عين الخوف بشفاه مرتعشة كطفل مندهش جدًّا، حتى نطمأن له، ثم نصدِّقه، ثم نصاحبه، ثم نقع في غرام معه، فيصبح كل غرام فينا بختم السيد خوفًا، بأمر السيد خوفًا، ويصير الحب الخافت داخلنا ماكياجًا للخوف.

فالخوف عدو الحبِّ المقرَّب وصديقه البعيد، حاذر منه على استحياء، حاول أن تجعل من خوفك باقة ورود.

فتصير القوة داخلك أيادٍ تمتد إلى عالم أفضل، ودماء تحن إلى قلب أرق، هي تنتظر اللحظة، وتخشاها أنت.

صارحها بحبك؛ كي لا يمتعض الوقت، ولا يغضب منك حنينك، وقبل أن تصارحها، صارح خوفك، اجعله صديقك لفترة ثم خنه، ستكون

خيانة نبيلة، ومعصية طاهرة؛ لأنها باسم الحب، خن خوفك مرة وصارحها.

ولكن لا تقتله فقد تحتاجه مرة أخرى، إن لم تكتمل القصة، وقد تحتاجه إن اكتملت أيضًا في لحظات تخيل الفراق، فالعاشق له ثلاثة أكفان، أولها الخوف وثانيها الحيرة وآخرها الفراق، حاول أن تخرج من أول كفن ولو عدت إليه مضطرًا، ستكون رحلتك بين الفراق والخوف، رحلة حيرة، حيرة تمتد في أوردتك ليظل ذهابك وإيابك في داخل فكرة، في داخل قلب.

لكن حاول، فالمحاولة في الحبِّ وصول، والوصول إلى الحب الكامل أقوى من ألف محاولة.

فحاول، لو مرة واحدة.

ضميرٌ مستترٌ تقديرُهُ عاشقٌ

صلّي في عيوني صلاة غياب ورحيل، واستتري بالفجر قصائد ورد وتراتيل أنوثة، وامتطي صهيل دمائي كفارسة ستحرر قلب العالم، واخفتي بالنور واجهري بالحب عشقًا وعلانية.

عزيزتي جوليت، تنساب تفاصيلي حروفًا مقتولة؛ كي تكتب الأعمال الكاملة لأسطورة عينيكِ، وما زلت أحاصر قصرك بجيوش من ملائكة العشق وأن يحضرون، ما زالت كل شياطيني تعانق كل ملائكتكِ؛ كي تشرب إكسير الفردوس وتبلل أقدامها من نهر بنفسج.

اختبائي في جبيني جزء من فكرة وجزء من ندى؛ كي تعتمري ندى أفكاري وتسكني في قلب الندى، واكتحلي من نظراتي خجلًا للحظة ولحظة للوجود.

عزيزتي جوليت، لا تسأليني هل ما زالت أحبكِ، فالعالم داخلي حالة فصام كاملة، نصف يحبكِ ونصف يتغنى باسمكِ، فإن لم تستلهميني شعرًا، فقد استلهمنا الحبُّ وظل يغني قصتنا كما شاعر ربابة السماء، فدعيني أختبئ من العالم تحت خُصَل شعركِ؛ ليصبح صبحي ناعمًا وليلي حالكا جميلًا، وازرعي زهرة في حديقة منزلكِ باسمي، واقرئي عليها السلام وبلغيها منِّي السلام، والقي عليها كلماتي وسحر عيونكِ؛ كي تصبح لها الشمس والماء، فإن نضجت الزهرة أتيت، وإن ذبلت رحلتُ واكتويت.

عزيزتي جوليت، أنا لا أسألكِ أن تضميني إلى حضنكِ.

بل ضمي خوفي إلى حضنكِ كطفل اعتراه برد الحبِّ وقسوته، ولا أسألكِ أن تقبِّلي شفتيَّ، بل أن تجعليني أقبِّل يد اللحظة التي جمعتني بنظرة منكِ ولحظة خوف عليكِ، ولا أسألكِ أن تسكني في دمائي، لكن دعيني في دمائكِ ضميرًا مستترًا تقديره عاشقٌ!

عزيزتي جوليت، إن نمتِ في ليلكِ الهادئ فحذارٍ من أناملكِ الناعسة أن تعزف آخر أغنية للقدر، وحذارٍ من عينيكِ أن تغمضيهما وأنا ما زالت لم أرحل من آخر نظرة، وحذارٍ من قدميك أن تهدأ وما زالت تمشي في لوحة لمشهد آخر لقاء، حذارٍ أن تقتلي اللوحة في نومِكِ، وهي ما زالت تنبض في صحوي.

عزيزتي جوليت، استأنسي العاشق الأقوى بداخلي؛ لتهنئي بجمال قوتي وصفاء ضعفي، وابذري أنوثتكِ في أرض قلبي، وهُزِّي بجذع النخلة يُخرج لكِ نبضًا عاشقًا مسالمًا لعينيكِ يسلّم لما فيها، واستظلي بشمسي؛ كي يجمعنا الظل لقاءً مرسومًا بخيوط الشمس، وراقصي قمري؛ كي يجمعنا نوره على عهد الليل وحسن لقائه.

عزيزتي جوليت، يا من خُلقتِ من صيغة تفضيلٍ وجعلتِ القمر مصاحبًا لطرق صوفية عشقية، أشتاق إلى جبروت عيونكِ مرتين، مرة لتخلق حلم ولد، ومرة لتخلق لي فتاة يعشقها، فتصير نظرتي قصة حب مكتملة بين ولد للحلم وبنت للجمال، فأخرج من حلم الجمال إلى جمال الحلم، ويتساقط الحبُّ فوقي بردًا وسلامًا.

عزيزتي جوليت، انبشي بأظافركِ آخر لحظة تجمعنا، اتركي فيها أثرًا لكِ حتى ولو كان خربشات، لعلها تعطي لفرصة اللقاء قُبلة الحياة، وتعطي الأمل سجّادةً سحريةً يطير عليها إلى قلوبنا مرة أخرى.

عزيزتي جوليت، أمام عيونكِ تعشق رُوحي قطعة دانتيل بيضاء، لا أعرف هل تبكي فيها أم تغزلُها رِداءً، أم تصنعها حجابًا من قهر النظرة؟

وتتعلم أصابعي رقصات الباليه فوق الكلمات المغزولة باسمك، وتتعلم عيوني أن تصبح خيامًا لقبائل الأنوثة المسافرة من عينيكِ، وتتعلم نبضاتي أن تصبح إغريقية، تؤمن بأساطير براءتكِ وجنون النظرة.

عزيزتي الغالية، لم أرحل بعد وإن رحل الجسد؛ فسيبقى شيء واحد في هذا الجسد لم يرحل قط، قلبي المصلوب ما بين المشهد الأخير وآخر خطوة، فإن لم تعيدي لي ذاتي كاملةً، فعلى الأقل أعيدي لي قلبي بنظرة واحدة، ولو كانت الأخيرة.



جناحُ فراشةٍ

الحبُّ الأول لذَّةٌ لا تتكرر، والحبُّ من بعده تكرار لا يلذُّ.

أحببتها كي أخرج من دمي؛ ليصير حنيني إليه غرامًا، ووصولي إليه حلمًا، وغربتي بين عيونها لهفة لنفسي.

أنا لم أُولد كي أحبها، ولكني أحبها كي أُولد كل لحظة.

أنا رجل رجعي جدًّا، حين أسافر أبعد من لغة رموشها.

أنا ليست لي مدينة وليس لي سنٌّ ولا عنوان، فمدينتي الحلم، وعنواني الخرافة، وسنِّي شيء سيكون، حياتي بلا حبها عذاب مقيم، وسفن العبرات في عيني بلا ميناء ولا أنثى.

كان رحيلي إليها العودة وعودتي منها هي الرحيل، والآن أنا رحال، من ضلعي لضلعي، أقوم بدور سفير نوايا بين وريدي وشرياني، من يسأل عنها ومن يهدِّد بالموت إذا لم يرها، أحاول أن ألعب دور وسيط رُوحاني بين الحلم والواقع؛ لعلي أراها في لحظة ضبابية من خواطر الحلم، لكن للأسف في زماننا، حتى الحلم، واقعي جدًّا.

"من مات اليوم؟"

غير الحبِّ وغير الناس اليومية وغير بضعة زهور.

اسأل نفسك من مات اليوم؟

ستجد إجابتك في عين حبيب غاب حبيبه.

لو كانت نشرات الموت ستحسب من مات من العشق، لن تجد مساحة من الورق الأبيض كي يحفظها بين ضلوعه.

من عاش اليوم؟

غير الله وغير الشمس وغير القمر، ستجد العشاق وبعض الناس، من يعشق يحيا، الحبُّ كما الدمع يحاول أن يحيا وحيدًا، بعيدًا عن عين الناس ولغة المارة وعيون البصاصين.

- هل تضحك وحدك؟

- أبدًا.

- هل تبكي وحدك؟

- أحيانًا.

- ولهذا العشق حزين، العشق هو الفلسفة الأولى حين يتقمص دمعك دور أرسطو، هو الملكوت الأول حين تخلد فيك الدنيا راحتها؛ لتصبح على كف الدنيا ريشة؛ لينفخ كيوبيد الريشة متى شاء لتظل تطير بلا وطن.

وتطير تطير؛ لتهبط بين حديقة زهر أو جناح فراشة.

وفي كلتا الحالتين ستهبط لونًا ثالثًا، غير الزهر وغير الفراشة، لون يثير فضول الزهرة، وهمهمة الياسمين والبنفسج، وستعرف يومًا أنك تعشق حين يصير الشارع أوسع والغرفة أوسع والبحر أوسع، وتصير خطاك على الأرض تنقيبًا عن معنى آخر للحبِّ، وتصير كما الدخان بلا هواء يحملك ولا نار تأويك، فتظلُّ تبحث عن النار وتفتش عن الهواء بلا جدوى، وستظل قافية الشعر تعيش على كف الحبِّ، وسيظل الحبُّ يعيش على شعر القلوب.

مشروبُ اللحظةِ من شهدِ لقاءٍ

في إحدى الغرف السرية بقلبي، باب من سندس منقوش عليه حروف من اسمكِ، ما بين صرير الباب وهمهمات الملائكة، يوم، كألف سنة مما تعدون!

لم أعشق الوجود حين وجدتكِ، بل عشقتكِ حين عشقت الوجود، حين احتضنت القمر وضربني أول تسونامي أنوثة، حين ابتسم لي نزار في فنجان الشاي، حين قالت لي الأزهار "كن عاشقًا ترى الوجود جميلًا"!

حين وجدتكِ احمرت وجنتا الشمس خجلًا، وغنى لي الكروان "الحبُّ لكِ الحبُّ لكِ"، ودخل القمر غرفتي السرية يُحضر لي الرقية العشقيَّة الشافية من عينيكِ!

سيدتي لا تتحيري إن بكيتُ أمام عينيكِ ضعفًا، فالحبُّ لا يلهم العشّاق إلا الوجع، لا يستجديهم إلا الدمع ولا يهديهم إلا الضعف، إن بكيت فلا تتعجبي، فأنتِ لا ترين جناحيكِ الأبيضين يطرفان عيوني، ولا ترين النور الصارخ من ملكوتكِ، ولا ترين كيوبيد يُحضِّر في الثانية ألف غارة عشق على قلبي!

ملكتي لا تتحيري إن تأخرت عن موعدنا لساعات، فأنا من موعدنا السابق أُلملم المرمر، وأدهن أجنحة فراشات الحبِّ، وأرقص مع غزلان هربت من عينيكِ، وأجاذب السماء أطراف الجنون عن عينيك.

في إحدى الغرف السرية بقلبي، أُحضِّر مشروب اللحظة من شهد لقائك إلى أُنشودة رحيلكِ، وأُحضِّر وصفة امرأة من فصيلة البنفسج، أصنع أقوى ما فيها من أضعف ما فيكِ!

في إحدى الغرف السرية بقلبي، ملف سري للغاية، أستعيذ في كل ورقة منه من أمراءٍ ينافسونني في عشقكِ وأن يحضرون! وأستعيذ من أوقات لا أفكر فيها في عينيكِ، ولا أتغنى بحضرة عبيركِ، في تلك الغرفة أتوضأ بالوحدة لأصلِّي صلاة غياب في عينيكِ، وألمس على جفنكِ خاتم سليمان ليأخذني إلى سدرة منتهى جمالكِ في لحظة، فدعيني أتصوف في عينيكِ قرونًا؛ كي أشعر فيها بسكينة الربيع وسكينة رُوحي.

صنعت لكِ في قلبي سريرًا من شِعر ومن كلمات، فبعثري حروفه بخطواتكِ أغاني وابتهالات، ودعيني أصنع من همجية الحروف سلالم تعبرين بها القمر وما أعلاه.

في كل ليلة كنتِ تُراقصين رغبتي، وبعد رحيلكِ، أحتاج إليك أكثر، فمن يُراقص غربتي؟

في عينيكِ شنقت نفسي بحبل من كلمات، لكني وجدت أن في عينيكِ العاشق ب"سبعة" أرواح، في عينيك القدر ب"سبعة" أقدار.

كلما رأيتكِ استلقت على أناملي ملائكة تجعلني أعزف على النسيم، وتجعل من أسراري المكنونة نشيد سماء مفضوح، وتجعل من رعشة قلبي لحظة، عشرة وألفة مع عينيكِ سنين وسنين.

كلَّما تذكَّرتكِ احتجت لصنع عيد للرحيّل كما عيد الحبِّ، ولصنع غرفة سرِّية أخرى في قلبي، أكتب عليها ماضيًا سيعود.


فيولين أنوثتها

تحت القمر امرأة واحدة، وسنون ترتحل ملامحها البيضاء، ونسيم داعب عينيها كي يحفظ نفسه كآية حسن بين رموش لا تخطأ، وقلب يبكي عليها، ويصلي صلاة الغائب في صدري حين تغيب.

لا تحدث نفسك عنها، لا تعطي الأمل لأوصالك كي تنتظر كهالة نور، ابكِ كثيرًا، فالعشق يحب بكاءك.

ادمع كي يزهر موسم حب ولا يبقى على صدرك.

ضحي بدمعك كي يهنأ عشّاقٌ آخرون، فكِّر فيها؛ كي يبقى من عطر الفكرة زهور في دمائك، اخرج من نفسك كي تشعر ما بين وجودك وغيابك طاقة حبٍّ.

تحت القمر رحيل واحد، وجنين جنون في مرحلة ولادة.

والحبل السري إلى ما شاء الله وآخره العنبر، بلِّل نفسك من نهر لا يظمأ إلا إليها؛ كي يبقى العطش بداخلك حنينًا دائمًا، وتذوق قطعة سكر من فم كيوبيد؛ كي يبقى جوع الحب بداخلك أنينًا للرحمة، واطلب من عينيها الرحمة.

اطلب من إصبعها الرحمة، لا تيأس أبدًا فالحبُّ معك.

تحت القمر وجود وعدم، صدام في همهمة الناس وعودة في صدورهم، بيوت للشغف الزائل ويقين بالحب الدائم.

تحت القمر، أنا، رجل يشعل سيجار القدر، ولا يخرج من دخانه، رجل رُوحه في نظرته، هائمة في ملكوت لا تملكه ولا يملكها، رجل يعيش

في نفسه؛ لأنه ظنَّ نفسه جنَّة الخلد، ملعون بالقمر وبالساحرات وبطقطقة أصابعه فوق الأوراق، رحّال في جفن الزمن وفي نبض الزهر، يعيش مدينته الفاضلة في قفص وهمي على أرض من دخان.

تحت القمر هي، سنوات من موتي تحاصر كف يديها.

تعيش مدينتها الفاضلة من تعذيبي، لا تلعن إلا الوحدة، ولا تعشق إلا هي، وما بين الضدين تسمع كعب حذاء الحيرة في طرقات أنوثتها، لا تلبس إلا الزهر ولا تخرج إلا وجنتها معها، أينما ذهبت أذهبت، وأينما وجدت أوجدت.

تحت القمر صراخ واحد، من ضعف العاشق لأزلية الحبِّ، من سكر الحب لاستحالة الفراق، ومن فضفضة الشعور إلى نار كتمان الحبِّ الأول، ولا يقتل إلا الحبُّ الأول، لا يشفع إلا الحبُّ الأول، لا يطعن إلا الحبُّ الأول.

أن تبقى على حد السكين بلا وطن ولا صوت ألم، أن تقرأ كف عذابك ولا تصارحه أبدًا بالمستقبل، أن تجد شهيقك وزفيرك أضرحة للمجهول، أن تستجدي الحلم وتُقبِّل كفَّ الفكرة عمَّن تعشقها، أن تركب حصانك الفردوسي لتأتي بفستان أبيض بلا أي ميعاد، أن تمارس أغنية في يوم عليك كل فنون التنويم المغناطيسي، أن ترقص باكيًا في حالة من بكاء رقصك، هي حالة زار كامل بلا شعوذة ولا دجل أبيض.

تحت القمر أموت أنا، وتموت هي، ولا يبقى إلا الحب الأول، كلحن خالد، يشتاق إلى فيولين أنوثتها وطبل رجولتي؛ لتكتمل ملامح الأزهار، ويبقى الحب هو سيد القرار.

تحت القمر يبقى الحب، وفقط الحب،

عزيزتي صوفيا

ليلة هربت من ارتجالية هوميروس إلى طرف لساني، فكرت كثيرًا قبل أن أفعل فعلتي، ولكن من هول الموقف قرَّرت خوض أهواله، أخرجت مشاعري بيدي من داخل جوفي وسميتها صوفيا.

لا تتعجب منِّي رجاءً، ألم تفكر أن تتعافى قليلًا من آدميتك، أن تكون شيئًا غير نفسك ولو حتى الضد، أن تُخرج خوفك من قلبك وتجعله أسدًا ضريرًا تحاول اصطياده بسهام ثباتك، ألم تفكر أن تصبح إشبينًا لتراويح الليل البيضاء؟

حدثت مشاعري كثيرًا في تلك الليلة كما لم أعهد نفسي.

أي صوفيا الغالية.

ليس الموقف بجمالٍ خالدٍ فأنا لم أصنعكِ ولكن صنعتني، تحرَّرت منكِ لكي أتنعَّم في قلبي في منطقة ربع الحبِّ الخالي، لا أحتاج مشاعر أخرى الآن، غضب، ضيق، احتياج، سعادة، حزن.

صوفيا الغالية، سأقدس رُوحي أيامًا وأعوامًا؛ كي أصل لرُوحي المقدسة.

سميتكِ صوفيا؛ كي أتصوف في محرابي قليلًا دون مشاعر.

صوفيا الغالية، أنا لم أتخلص منكِ ولكن أرهقتني إنسانيتي وآدميتي قليلًا، ولا أحتاج لخوفي أن يولد وحيدًا ولا يلهو مع شقيقه الأمل، فتخلصت منهم جميعًا، أنا لم أخنكِ صوفيا، لكني خنت نفسي

قليلًا حتى أن عدت إليها؛ عدت نادمًا مطيعًا، وعودة النادم احتياجًا وحسرة، فيها من الصدق ما لم أجده في عودة المحتاج.

صوفيا عيوبكِ كأي امرأة، واسمحي لي أن أناديكِ ب"امرأة"، بعض الأنانية، وحينما تصبح مشاعري أنانيةً فكيف أنظر للعالم بتجرُّد واحتواء؟

أحتاج لأن أرى العالم صوفيا، لم أعد أستطيع أن أعشقكِ وحدكِ، وننام معًا في علب السكر وفي بقايا البنفسج.

حررني صوفيا، أعطيني الحريةَ التي أستطيع بها أن أصبح أسيرًا لشيء، أعطيني الثقة التي أستطيع بها أن أصبح خائفًا من شيء، أخرجيني من نفسكِ نفسًا ناعمًا كأطراف الندى برغبة لا برهبة.

صوفيا الغالية.

أنا لا أتحدَّث من منبر العاشق، فمنابر العشاق احترقت داخلي يوم احترقت صورتها، لا أتحدَّث من قصر الواهم، فقصور الأوهام داخلي تصبح يقينًا يمحوها يومًا بعد يوم، أتحدَّث إليكِ ذليلًا راضيًا بحكمكِ، إن لم ترضي خروجًا كريمًا فلا بأس، ولكن أرجوكِ قبليني وارحلي.

اِعصِري منِّي الشِّعر وبعض النثر واقرئيها حتى أعود إليكِ، أنا لا أحدِّثكِ عن موتٍ صوفيا، بل أحدِّثكِ عن هروب بصيغة الخلود، هروب منكِ كيما نعود أكثر شوقًا وأكثر استعدادًا وأكثر أنانية، لا تجعليني داخلكِ كجرح صوفيا، بل اجعليني التئام جرح، جرح يلتئم فوق رأسنا معًا ويضمنا حنانًا وحنينًا، اجعليني كقطعة سكر أو قرص مخدر كما ابتلعتكِ مرات كي أحصل على جنسية الملائكة، وليس للملائكة جنسية صوفيا، ولكنكِ أوهمتني بذلك.

أحتاج لأن أخرج منكِ لأُفق العشق الأكبر؛ كي أرى شموع العالم من

بعيد احتفالًا بدلًا من رؤيتها قلوبًا تحترق، امسحيني من مذكراتكِ صوفيا، فأنا لم أعد طفلكِ المدلل الذي تروين به الأوراق كل ليلة وتبكين.

اجعليني في ورقة واحدة وكلمة واحدة واكتبي سيعود.

وداعًا عزيزتي.

لا تقولي أنا متمرِّد، فأنا لم أتمرَّد من قبل عليكِ، لكن قولي إني أسمو إلى مرتبة العشق الأبدي، أهرب إلى فلانتين برحلة سريعة على سهم كيوبيد؛ كي أتعلَّم آخر وصاياه، فلا أحتاجكِ معي صوفيا، الرحلة طويلة وشاقة، وقد أعود بامرأة أخرى، لكن صدقيني، أنتِ حبِّي الأول، بالفطرة.

الكل يتحدَّث عن الحبِّ الأول، لكن الحبَّ الأول ذاتيٌّ بحت.

سامحيني صوفيا إن لم أشاركِك لحظة ميلاد ابننا الجديد الأمل، فسأعود بعد الرحلة مشتاقًا إليه مثلكِ تمامًا، وإن كان الأمل جنينًا فالحلم قريب.

سأرحل الآن؛ كي أعود أقرب، بتعاليم قدسية أخرى، وداعًا صوفيا.

وداعا عزيزتي!


مَن لنا الليلة

هو: من لنا الليلة؟ وقلبي يحاول أن يهرب من صدري ليسكن رمشًا في عينيك،

هي: لنا الحبّ، لنا الجمال، لنا نحن، قلبان استنشقا زهر مشاعرنا فلم نخرج من مرحلة الإدمان.

- آه من حبك وكأني وتر تجري عليه دمائي فأخرج لحنًا بين شفاهك.

- آه من حبك، وكأني ملاك يهرب من جنته لجنة لقاء معك فيشتاق الذهاب والرجعة، ذهاب إلى الجنة في لقائك والرجعة لجنته البيضاء.

- أحتاج لحضنك، أن أستحضر صدق عيونك؛ كي لا أحتضر على دفء جمالك.

- وعيوني مملكتك، أحيانًا تغمرني الغيرة منها فأحدث عنها صديقي الليلي وريدي لأقابلك هناك؛ لنتقابل معًا، لنتقابل داخل نفسي.

- فلنجعل لقاءنا داخل نفسي، أنا لست أنانيًا، لكني أراكِ كما أشتاقكِ وأشتاقكِ كما أحتاجكِ، لتنشطري في نفسي لشوق رؤيتك وشوق احتياجك.

- أنانيتي تعشق أنانيتك، لتصير في أرواحنا لقاءً، وفي لقائنا رُوحا واحدةً.

- وكيف أكون في رُوحك!، حدِّثيني عن هذا الرجل الذي أتمنى أن أقابله فيكِ.

- امممممم، هو رجل يرحل في صدري وعاطفتي كل صباح، ينثر زهرًا في مسامي المشتاقة إليه فيجعلني زهرته وأجعله إحساسي.

- محظوظ هذا الرجل، أشتاق لأن أسهر معه داخلك، فيحدثني عن رحلته وأحدثه عن شوقي إليكِ لنكمل قصتنا عن رحلة شوق.

- وسعيدة تلك المرأة داخلك تحاول أن تلهو على كفِّ يديك وتتأرجح على فضة القمر وتجري كبنت صغيرة على أنفاسك.

- وكأن الليل يحاول أن يهمس في قلوبنا من لي الليلة سوى الحب!، من لي الليلة إلا عاشقان مثلهما!

- أنا أرى ليلي في عيونكِ ونهاري في حبكِ لي كالذهب الخالص حتى إذا اجتمعت فضة الليل بذهب الحبِّ يصير النبض كما اللؤلؤ عقدًا منثورًا في كل لقاء.

- أنا أجمع ليلي ونهاري في نظرة من نظراتك وجنتي الموعودة على أمل عيونكِ.

- نحيا بالحبِّ؟

- نحيا بالحبِّ،

- من لنا الليلة!، وكأن البشر كلحن الماضي أو الذكرى لا يوجد إلا الطير على الأشجار وناي يعزف وزهور تتراقص فينا، أين الناس وأين البيوت؟

- من لنا الليلة!، وكأن الحب كما الندّاهة تجمعنا في كهف مسحور وتغلق أعيننا إلا عن أنفسنا فلا نرى بشرًا ولا يعشقون.

هو وهي: من لنا الليلة، إلا هو أنا، والعشق الباسم في أعيننا والراحل في عروقنا والصادح في وجودنا.

فيقول القمر: "هي أجمل ليلة"

ابتهالٌ في حضرةِ الصُّدفةِ

صدفة.

جاءت إليَّ بواقع في رداءِ الخيال، وأنا لم أعتد من قبل على الصدف وقوتها، فاعتياد الصدف، قتل لها، لكن في عينيها لم يكن اعتياد القتل، مجرد صدفة!

لم أتعجب قط، إن قتلت "آنّا كارنينا" نفسها داخل عينيكِ أو ثار "عطيل" بغيرته بسيف رموشكِ في وجهي، لم أتعجب من تلك الصدفة التي قسمت قلبي ما بين الفردوس الزائف والفردوس المفقود، فكل يبحث عن جنته!

لكن حين تنظر إليكِ تلك العيون؛ فالجنة تبحث عن آدم جديد!

صدفة.

كانت لها فلسفة الحنين، ومغزى للوشيجة، صدفة موعودة، وإن تناقض الحرفان تناقض الشمس والقمر، لتكون رجولتي على أنقاض تناقضهما، صدفة سطَّر فيها "هوميروس" على قلبي ملحمةً جديدةً بلا ملائكة تعشق البشر أو جحيم مستعر، لم تحدثني "فينوس" بل اقتبست نفسي من قصة خلود، واقتبسَني الخلود بطلًا لرواية ومشهدًا لدور العاشق، نظرة واحدة، شرب قلبي فلسفة تلك النظرة، فتعلم الفلسفة وأصبح مدينةً فاضلةً!

لم يعتد قلبي أن يصبح بُوصلَة للموت، كلما بحث عنه جمالًا وجده، لم أعتد على بكاء قلمي العزيز إن انكسر له سن يبكي مثل الأطفال، بل كان يلقيه أمام الشمس ليحصل على سن آخر من بحر الشعر.

رأفة بي، فأنا وضعني النعيم على قائمة اغتيالاته المفضلة، ووضعني عشقكِ قربانًا للحرية، لا توجد عينان تصفق لهما الأزهار كلما نظرت من خلف الستار غير عينيكِ، لم أكن أعرف لماذا ينحني أمام عينيكِ الواقع، وبعد فترة عرفت؛ لأنك براح الخيال، لم أكن أعرف أن الانتظار قسمة العشاق، لكني عرفت أمامكِ أن الجنون قسمًا عليهم.

زرعني الحب في فصل الياسمين وجعلني طرحَه الأول، لكني لا أريد حصادًا الآن، أريد أن أصفِّق مع الأزهار أمام مسرحية عينيها، أريد أن أعرف للأرض جبينًا أُقبِّله وشعرًا أحسه في يديّ لكي تنام الأرض في حضن ما أشعره، أريد أن يقتنص الفنُّ لحظة اندماج عيني في نظرتها؛ لكي تقوم قيامته الجديدة.

صدفة.

وكأني لم أرَها، دخلت في مرحلة الإنكار بعد الإدمان، بعد الهذيان، أحاول أن أقول إني لم أرَ عينيها قط؛ كي أهرب من واقعها إلى قلبي كي يدثرني وأنا أرتعش خوفًا.

صدفة جعلت من عينيها بحارًا مسحورةً تحرق سفنَ أنيني، جعلت من أطياف الرُّوح قلادةً لأميرةٍ من جن العشق، أدخلتني رحلة الصفاء، واجتهدت أمام عينيها للاصطفاء الجميل.

صدفة اقتسمت نشوتها الملائكة مع قلبي؛ كي يأكلوا معًا خبزًا وحبًّا، صدفة استترت في ضلوعي وتسترت على جريمة إحساسي.

صدفة غنت لي كالأطفال؛ كي أنام، فأصبحتُ في عينيها عاشق الأنام،

اقتنصت في عينيَّ غزلان الشعر بسهم أحسبه يهرب من جحيم دانتي!

صدفة.

تمشي على قلبي ببعض الخبر بحبات بركة العشق، قل هي رحمة ونور على نبضاتي، أو لقمة رحمة وحبٍّ.

صدفة تمسك بأطراف يديها أول الكون وآخره، كالمفرش، وتغلقه عليَّ في ظلام لا يلعن ظلمته ولا يبكي أمام شموعه.

صدفة تشتق من الإعجاز رسالات من شذا حواء؛ لكي تقسم آدم نصفًا يعشق ونصفًا يستغيث.

صدفة تجعلني طاووسًا خجلًا على عكس حياته، ورجل يغرق في بحر الزينة على عكس صفاته.

صدفة كما الساحرة الغجرية، كما ساحرة بورتوبيللو، كما سحرة الشرق، تقتل بلا رحمة، ولا ترحم في الحب قتيلًا.

والصدفة أمام عينيها بألف شهر، وألف عطر وألف امرأة، لا توجد لحظة حب إلا وفيها لحظة اندثار وتكوين، مد وجزر؛ مد لعاطفة، وجزر لما تلملمه من همس الشطآن وقلب حواء، لا توجد صدفة بعد رحيل إلا وكانت خبطة رأس الزمن بيديه؛ ندمًا على فراقكما ومحاولة لرؤية المشهد من أفق أوسع ورؤية جديدة على أمل الرجوع، لا توجد نظرة بعد رحيل إلا وفيها تتلألأ بعض النشوة وبعض من فلسفة استرجاع الذات وقطع من سكر المشهد تتكسر على طرف فنجان السهر الموجع في الماضي، لا توجد ابتسامة بعد رحيل إلا وفيها انسحابة رُوح من جسد وكيان شهقة دافئة وذكرى تعاود التظاهر للظهور، فرحيل العاشق رحيلٌ بمعنى الكلمة وليس بكيانها، رحيلٌ لامرأة وليس رحيلًا من امرأة، رحيلٌ من الدنيا إلى محاولات استعادتها، ورحيلٌ من الحبِّ

إلى الحنين، ورحيلٌ من اللحظة إلى الزمن!

والرحيل كما البحر شاطئه امرأة وجزيرته نفس المرأة، وأنتَ معلق في نفس السفينة، بلا ذهاب ولا عودة، تحت شمس تعطيك الأمل، وعواصف تنهش لحم السفينة حتى تعود إلى امرأتك شبه غارق.

فاجعل من حبِّك الأول حبِّك الأخير، فلا نعرف هل اشتقت كلمة الأول من الولاء، أم العكس، فإن بعثرت الكلمات تجد أن الأولى بولائك أن يكون ولاؤك للأول.

صدفة، والحبُّ صدفة، والهجر أحيانًا صدفة.

اعطِ لعينيك حق نظرة أخيرة، قد لا تظمأ بعدها أبدًا، ولا ترحل بعدها أبدًا.



للغربة أحلام وبيوت

للغربة أحلام وبيوت، لا تسكن أبدًا إلا حنينًا أو شوقًا عارمًا، تحن إلى قلبي كي تعرف معناها.

أنا قلبي قصر للغربة، يبنيه الدم الفائر عشقًا بدعوات عيون حبيبة، بمباركة الذكرى أو ملكوت الماضي.

ودموع الياسمين فوق أياديها، ويظل الحلم رضيعًا في قلبي حين تتم الغربة رحلتها، ويصير القمر شاعر النجوم الأول، وأنا أبتسم، وتصير الشرفة بوابة العبور إلى السماء التي لم تولد بعد، ويزيد الشغف في قلبي ويزداد الحب؛ كي تجد الغربة متعتها القصوى في قلبي؛ كي تشرب ليمون الأرق الكلي من بحر مالح في دمائي، وتأكل حلوى الوجع المذهل في أطرافي.

لا أعرف كيف سأخرجها من هذا القصر وأنا من بنيته، أحتاج لكي أهدمه اعترافًا كاملًا بالحبِّ أو موتًا سهلًا.

محبوس في مرآة الغربة لا أعرف كيف سأظهر وجهي القبيح، كيف سأكسر هذا الزجاج وأخرج رجلًا عاشقًا آخر.

وللغربة دمع وابتسامات، لو بكت داخل قلب سيزداد صلابةً وجبروتًا، لو تبتسم يلين جدار القصر وقد تخرج منِّي، لا أعرف كيف ستضحك غربتي في منفاها.

الآن تتم السنة العاشرة ولا توجد شمعة أو فرحة، وتموت فتاة الأحلام؛ ليولد حلم فتاة؛ لتعشق شخصًا آخر.

الآن تتم السنة العاشرة لتتوج رأس الحلم بتاج الدمع وأكثر، لن تولد في رُوحك امرأة أخرى قالت، لن يصبغك العمر بشعر أبيض إلا وتذكرها، أنت شهيد واحد للحبِّ، في عمر الحلم الواحد.

في الغربة ملائكة وشياطين، وكلاهما اجتمع في قلبي؛ كي تعصرني نصف الحيرة، ما زالت على درب العشرين وأنظر غدي، أحتاج لأن أصل لدرب النور، بلا عمر ولا سنوات، حيث يكون العمر مجرد ارتجال من شاعر يحلم، وتكون الأرض مجرد لحظة مجردة من لغة الدوران وحبر الكون، وتكون قوافي الشعر كعنب يتساقط من نعيم مقيم، أحتاج لأن أقتل تلك الغربة، بلا سكين ولا خنجر، لا أعرف كيف يكون قتال القلب؟ كيف أقتل أنفاسي وأنا أتنفسها؟ كيف أقتل الغربة داخلي؟

إذا كانت هي تجدني فتاها المثالي، تجدني أنا، الغريب عنِّي.

عاشقُ عينيكِ المختارُ

لن تمضي بعيدًا، فأنا في عينيكِ قتلت كل تعاليم القصيدة وتفوهت النثر في لحظة فطام من أشجار التفاح، ساعات وستحتاجين إلى عاشق مثلي، يصطفي من رموشكِ ما تتكحل به الدنيا لترى، ويصطفي من شفتيكِ ما تتجمل به الدنيا لتقبل العشاق، ويطير في نبضك ويبحر بمراكب وطائرات ورقيَّة من فترة طفولة عاشق، إلى أن يصل في عينيكِ ل"سن الرشد".

لن تمضي بعيدًا، فأنا لم أحتل فيكِ ما أعيده إليكِ، فما احتلته عيوني فيكِ أشياءً تخرج عن لغة الحرب والسلام للعنة الحبِّ والاستسلام، ساعات ويعود الحمام الزاجل إليَّ ببشارة النصر على رحيلكِ، وأُخرج من طرف فمه ورقةَ عشق وردية تبشِّر بالعودة، أنا لم أعشق فيكِ ما أتركه، فأنا أصبحت نشيدًا وطنيًا لأنوثتكِ، ولغة وطن قلبكِ الرسمية، فإن حاولتِ الخروج منِّي، هجرتكِ أنوثتكِ إلى رُوحي، وتركتكِ بصفة العادية، ووهبتني الامتياز منكِ.

قد يعجبكِ الرحيل ساعةً، لكن لغة الحبِّ دهر، فلا توهبي الرحيل متعته؛ كيلا يقتص من جمالكِ داخلي.

لا تهجري الجنة التي خلقتها لكِ وجعلت أشجارها تطرح كلمات حبٍّ تقول "نِعمَ الجمال وحسُنت مرتفقًا"!

لا تتركي عيوني التي أضحت كالكروان تغني كل ليلة "العشق لكِ، العشق لكِ".

لا تتركي خطَّكِ الفاصل في حياة الحبِّ، بين بشر يتحدَّثون عن الحب وبشر يتحدَّث عنهم الحبُّ!

لا تهجري قتلكِ الرحيم لي بقتل لا يعرف أي رحمة في هجركِ، لا تتركيني بنصف امرأة داخلي وتمضي بعيدًا، فقلبي لم يتعلَّم ترويض أنثى راحلة، لكنه تعلَّم رحلة الأنوثة منكِ.

لا تطلبي من قلبي الصبر، فأنا كسجينٍ هاربٍ وقلبي هو المكان المشتبه الأول للتفتيش.

اجعليني أختبئ ولو ساعة واحدة أخيرة في دمائك، أستتر فيها من وجع يبحث عنِّي وعاشق يريد سكب الندم المغلي فوق رأسي، لا تتركي نافذتي التي تعودت أن تراكِ بنصف رئة ونصف حلم ونصف نظرة إلى خطواتكِ، لا تجعليني أعيد رحلتي التي بدأتها إلى سدرة منتهى الجمال بطيفكِ إلى هجر من طيف وجودكِ، لن أرحل من تحت غطاء القمر المخسوف من حسنكِ، والشمس المكسوفة من عاطفتكِ والأرض التي تدور سكرانة منكِ وبكِ.

إن هجركِ لي إعادة اختيار فاهجريني، جددي اختياري عاشق عينيك المختار؛ كي تتجدَّد أناملي ذهبًا يلقي على الأوراق سفن النبيذ، اغرقي في آخر نبضة لي سفينة كما "تايتانيك"، فلا أحاول إنقاذ أحد، بل اغرقوا جميعًا أنتِ وجمالكِ وذكاؤكِ وعاطفتكِ داخلي، استدعي فراشكِ وطيوركِ وسناجبكِ ليصنعوا لكِ فستانًا آخر لـ"سندريلا" أحمل طرفه ونذهب لحفلة عشق جديد، بلا أمير غيري، ولا حصان غير جنوني.

أبدعي في حبي كما تبدع أسنان المشط في رقصتها حين تمشط شعركِ، ولا تخدعيني كما يخدعكِ سريركِ كل ليلة ويطير بكِ دون شعور إلى السماء؛ لكي تنام الملائكة وتقرَّ عينًا.

لن تمضي بعيدًا، فالخدعة أكبر منكِ ومني، فكل ما فيكِ حتى رحيلكِ متفق عليه، هي مؤامرة عشقيَّة كبرى صنعتها مع عينيكِ ونبضكِ دون حضوركِ، ولذلك أقول دائمًا، لن تمضي بعيدًا، فرحيلكِ ليس قدرًا، بل قدرة وحيلة منِّي، تفطر قلب الساعة أحيانًا، لكن رحيلكِ مني بأمر منِّي، وعودتكِ إلى قلبي ستكون بأمر أكبر منّا، أمر من ملائكة الحبِّ؛ لكي تمسحي دموعهم مرةً ثانيةً، وتحكي لهم عن أميركِ همسًا.

لن تمضي بعيدًا.



ثلاثة أميال فردوسية

فردوس، أنهار خمرية، وعنب مقطوف، منثور هذا العنب المذهل كعناقيد الذهب على الأرض، أشجار الأساطير في كل مكان، ونساء من لحن الحور تذهل حتى الأشجار، وتحت الأرض عالم آخر، رعد ودخان وتعاويذ ومساجين.

لو ننزل أكثر، تجد الغربة والوحدة والدهشة في حوار سري مغلق، ثم تجد الناس تتصنت خلف الباب على هذا الحوار، ننزل أكثر، تجد ملاعق ذهبية تقلب في فناجين القهوة لفلاسفة ومجانين.

ننزل أكثر، تحت الأرض؛ تجد ملائكة تحمل دعوات العشاق، وكيوبيد يتثاءب من كثرة ما تكرر هذا المشهد، ويحمل كل المشهد هذا يد بيضاء تخرج من صفحات كتاب ضخم، في أول صفحة، تأمرنا أن ننزل أكثر.

ننزل أكثر؛ نجد خرير الماء كعزف الفيولين ورائحة الزهر كما العنبر والمسك.

ننزل أكثر؛ نجد فراشات ترقص مع بتلات الزهر ويحاورهما الندى بلغة النهار.

ننزل أكثر؛ نجد الأبدية أو الخلود كما عصفور ترك العش ليبحث عن حرية.

ننزل أكثر؛ نجد الحرية، وحوارات جدلية في بحر مائج وزحام.

ننزل أكثر؛ نجد اللافتة البيضاء، بحور الشعر بعد ثلاثة أميال فردوسية.

ننزل أكثر؛ بدأ النثر يدغدغ في مشاعرنا، يزأر أسد يحرس قفصًا ذهبيًّا، نقف هناك ولا ننزل أكثر.

- ما هذا كله؟

- ماذا يحدث؟

هذا الأسد يحرس قفصًا ذهبيًّا، داخله، قلب لا يستطيع الاعتراف بحبه، ليصل لأول سطر، ليصل إلى الفردوس الأعلى، طبقات الأرض مكتوب عليها، زلزلة الحبِّ الأول.

عاشقٌ مبنيٌّ للمجهولِ

سنوات تتلى كما صوت الحبِّ علينا، وما زلت أصنفها ميلاديةً وهجريةً وعشقيةً، ما زلت أتوسل كل نهاية عام إلى كيوبيد حين يُلملم أوراقه، أُقبل يديه لكي لا يبدأ عامًا جديدًا دوني.

لا توجد أشجار السنة الجديدة ولا سانتا كلوز بدون عينيها، هي سانتا كلوز الذي يفاجئ كل نبضة قلب بعام جديد، ولحن جديد.

سنوات تلي وما زلت أعيش على مد البقاء في عينيها وجزر هجرتي منها، ما زال فنجاني الأبيض في غيبوبة الشمس والقمر حين أحتسي منه الحبَّ حنانًا وأنينًا، ما زال القلب يطوف على عينيها كما الصفا والمروة، ولا أتطهر من خطايا الحبِّ وآلامه، ما زالت حواء تمارس فقرة السيرك على نبضي، بلا جمهور يصفق أو ستارة تغلق.

سنوات تلبس فستان السهرة وتضع زينتها وتطرق كأسها فوق رأسي وأنا مستسلم، طوفان عشقي لم أتحصن منه بمدينة أو أصنع له من أضلعي سفينة.

تسونامي أنوثة لم أهرب منه إلا وتأرجحت بداخله وشربت من ملحه البحري العاصف داخل سكره.

فما أسهل أن تقول لمن تحبُّ قصيدةً وما أصعب أن تقف أمام القصيدة ذاتها لتصف حروفها، ما أسهل أن تتجاذب أطراف الحديث مع امرأة على أن تتجاذب معك امرأة أطراف الجنون والحياة معًا، ما

أسهل أن تعشق على أن تتعمد بالعشق وتزرع شجرة مباركة في قلبك منه، وما أسهل أن تعلن الرحيل، وأصعب أن تتيقن منه، فأسهل ما في الوداع كلمة، وأصعب ما فيه أنه لا يجلس على طاولة المفاوضات.

سنوات لأمارس فيها طقوس المسجون، دون أن أرى ساجني، وأنام مع امرأتين في كل ليلة، امرأة الأمل وامرأة الحلم، تعطيني الأمل مع الحلم في كأس وهمي دون أن تحضر لي حتى العشاء أو فنجان الخامسة!

سنوات استوليت فيها على كنوز كسرى وسليمان بكلمة سرية "افتح يا قلبي"، دون أن أجد صندوقًا واحدًا بالداخل ولكن تعجبني الرحلة.

سنوات أسافر فيها على وسادتي على براق اليقين في رحلة داخل عقلي، أفتش عنها وحين أجدها تفر إلى قلبي، سنوات أنتظر اجتماع ملائكتي وشياطيني خارج الغرفة؛ لأعرف قراراتهم السنوية، وفي كل عام يكون عقاب نهاية العام من كيوبيد سهمًا آخر.

أصبحت مثقلًا بسهامي وأسير كجرحى الحرب إلى أن أصل سريري أو أمسك قلمي العاشق، جريح معركة بلا عدو؛ لأسير إلى معركة بلا جراح.

سنوات ألقي حبًا إليَّ سرًا إلى القمر كل ليلة لا لكي أصعد إليه بل لكي يدنو إليَّ ونتشارك سر الحياة.

لكني لم أجلس معه قط، فكلما اقترب وزاد وهجه أصبحت كعاشقة السر وقلت إليه انصرف الآن ستفضحني.

سنوات تأكلني حواء كتفاحة ستعطيها جنَّةً أخرى، وتعتبرني حتشبسوت سفينةً لأدوات زينتها، وتلبسني كليوباترا كثعبانها المدلل،

سنوات يبنيني الحبُّ ولكن مبني للمجهول!

عام يأتي وأقدامي لا تحملني إليه إلا عاشقًا كسيحًا، بآلام المسيح، أمشي في آخر صف الزفة لأُلقي بعض الحلوى على رحيل عام وقدوم عام، دون أن يرحل مني الحبُّ.

أستعيذ كل مساء من أطياف الحب وأن يحضرون؛ كيلا ألقي عذابي السريريَّ المعتاد وأُربط من أطرافي ليمارس الحبُّ طقوسه، أُلقي كما السحرة بعض الأشعار على سريري قربانًا للحبِّ؛ لكيلا يقتلني؛ كيلا يأتي "سانتا" هذا العام بعربته ويلقي عليَّ تعاويذه وأحلام قلبه ويمطرني بحبٍّ جديدٍ وألمٍ جديدٍ.

عام جديد أتمنى أن يتركني عاشقًا، ولا يسكنني عشقًا.

أن يعطيني بساطي السحري الذي سحبه منِّي منذ أعوام عدة؛ لأطير مرة أخرى، وأتحرّر كليًا إلى عالم الحب، دون أن يلتف الحبَّ حول رقبتي كما الأناكوندا.

فأريد استسلامًا، أريدها استسلامًا، أعلنها استسلامًا، ولكن الغريب، أريد استسلامًا بإرادتي!


عرائسُ بحرِ الحبرِ

رحّال ما بين الحبِّ وما بين مصيري، وطوال الرحلة لا يعرف قلمي مصير السطر التالي، هل يكتب للعشق؟

هل ينتظر نفاذ الحبر لكي يخرج من وجعته؟

هل يتحرَّك ليلًا والناس نيام ليرقص كقصص الأطفال!

أحاول أن أنظر فجأة، لعلى أفاجأه وهو يتغنى أو يبكي، أو يكتب وحده ما يشعره ما بين أصابعي، أحاول أعرف منه كثيرًا عن نفسي، عن كل حوارات الخنصر والبنصر، عمّا يشعره بعد الليل الممطر وأصابعي المبلولة في ليلة عشق، عمّا يعانيه وهو يغرس سنه في دمعي على الأوراق، أحاول أن أعرف أكثر عن مشاعر قلم، للقلم شعور تدركه في لحظات الحبِّ.

تعرف كيف يحنُّ إلى الحرف القادم، أو كيف يصاحب حرف الحاء وحرف الباء، على أول سطر، أو كيف يضحي بدفقات الحبر في سبيل الحبِّ وهو يعرف.

للقلم رُوح ومصير، للقلم لحظات سعادة وحزن، لكل قلم عاشق ولكل عاشق قلم، نقطة ومن أول سطر، تجعله أميرًا في مملكة الجنة البيضاء، الورقة، تظن أنك ترهقه حين تضع رأسه على هذا الفلِّ الأبيض، لكنه يتنعَّم باللون الأبيض، يعرف أكثر عن شخصيته حين يصب شعوره على هذا الظل الأبيض، يعرف وطنه لأول مرة ويعرف لغة يكتبها، الورق المهد، الورق العمر، الورق اللحد، بالنسبة إلى قلم عاشق.

أحيانًا يغترُّ، يشعر أنه أعطى كثيرًا، ويريد أن يلهو قليلًا، يلهو مع عرائس بحر الحبر، مدينة ألعاب مائية هذا الحبر، لكلمات العشق وحمى الأشواق، والورقة، مدينته الفاضلة، عنوانها الأبيض، وقلبها من قلبه.

عذرًا، قلمي الآن يحاول أن يقصَّ عليَّ حكايته بالأمس، دعوني أسمع منه، وأعود.

بيوتٌ سكنت ضلعَ الدنيا

فلان وفلانة، بشر لم يتسابقوا إلى خير ولا إلى شر.

بل تسابق إليهم الخير والشر بحبال ودٍّ واستباقٍ.

بعضهم همَّ إلى الجمال مناديًا، والبعض هاجر إلى وجنتيه الجمال مصلِّيًا.

أحدثكم عن البشر، عن لعبة الحب ومكيدة الخير إلى الشر وأنفاس العالم، عن بيوت سكنت ضلع الدنيا فأراحتها وأوجعتها.

البشر طيور عدة، منهم من تره كما عصفور الجنة، يهبط ويقترب من الأرض، لكنه لا يهبط تواضعًا، ولا يهبط تحايلًا، ولكن قد يكون طبعًا بشريًا خالصًا.

والبعض كما النسر، يرقبك بنظرات حادة، يحتد بنظرته على نظرة آمالك، ويقترب بجناحيه على ما يجده قابلًا للافتراس فيك، فينهشه، والبعض كما اليمام، طيور سلام ووئام تعرفها من اللون الأبيض قبل القلب الأبيض ولغة السنابل، والبعض كما العصفور يحاول أن يبني العش حتى ولو على حساب الأماكن، يصالح حتى أعدائه إن كان في مصلحته، ويبني العش ولو في غصن مُتهرِّئ؛ كي يضحي بوطن وحصن جديد.

البشر كما خط الكف، وخط الكف، خط الكف المكتوب، وخطوط الكف التي ترتديها الأوراق، في خط الكف المكتوب، قد تجد منهم

خطًا طويلًا يملأ كفك عمرًا وأملًا، وقد تجد منهم خطًا قصيرًا لا تأخذ من النظر إليه إلا الحسرة والعبرة، وقد يكون تائهًا من راحة يديك، لكن تحتاجه لراحة قلبك، وهم أيضًا كخطوط الكف على الأوراق، فمن البشر من تجده نسخًا مستقيمًا لا يتلوى ولا يتمايل كذبًا، صراحته تملأ أوراق القلب البيضاء، ووضوحه يملأ تفاصيل حروفه، ومنهم من تجده ك"الرقعة"، يرقص فوق السطر ويمتهن السطر الآخر.

يتكبَّر أحيانًا، ينشز أحيانًا، ويصدقك القول قليلًا، ومنهم من هم كخط كوفي يتراقص حول نفسه، يجد نفسه محور العالم، ولا يصبح صديقك إلا ليكمل صورته، لا ليكمل الصورة.

البشر هم أعضاء الحفلة التنكرية الكبرى المسماة بالعالم، وفي الحفلة أنواع عدة، منهم صانعو المكائد، ومنهم منتظرو رقصة المساء من يعشقون مصلحتهم فقط، ومنهم من صنعوا الزينة الذين يحبُّون أن يلقوا نظرات الاستحسان، ومنهم من يريد أن يفسد الحفلة بالكامل، أو يخرجك منها بمنظر المفتور أو المقهور.

ومنهم من يريد رقصتك حتى وإن كلفته الكثير.

البشر هم نبض السماء، من يراهم في شمسه ويحتضن أسرارهم في قمره، من ينتظر لقاء قلوبهم حين تصعد للسماء حين يعشقون، أرواحهم حين تصعد إلى السماء ليوِّدعهم الوداع الأخير.

والبشر لحظات انتظار، منهم من تنتظره طوال عمرك ولا يأتي، ومن يأتيك في غفلة منك وتضيعه، ومن يأتي كثيرًا حتى تتعود ضياعه منك.

اجعل من أعين الناس منصات للتتويج قبل أن ترى منهم السهام القاتلة، واصغر أمام نفسك؛ كي تكبر في أعينهم.

فإن كبرت في أعينهم اكبر أمام نفسك سرًّا، فالكبير سرًّا أقوى من الكبير علانيةً.

أنت قصيدة تحتاج لمن يقرأك ويقدرك، وتحتاج لمن يزن القصيدة ويقفيها، وهو الحبُّ، وتحتاج لمن يقرأها ليلًا ويضعها في أحضانه وينام، وهو الأمل، ومن يحاول أن يزيد سطورها وأبياتها، وهم الأصدقاء.

فلابد أن تعرف الجميع حولك، حتى وإن كان اتقاءً لشرٍّ.

فلا تعترف فقط بمن تعرفه بل حاول أن تعرف ما لم تعترف به، وحاول أن تغزل من البشر رداءً لحياتك؛ لأنك إذا تعريت، أصبحت رداءً للزينة في دولاب ملابسهم.


أحلام
نجوم
تمطر

دعيني أقصُّ على أناملك البيضاء رواية عشق، وأجالس في حضن يديك شموس وعرائس بحر، دعيني أكون ربيعك؛ كي أنثر فوق شفاهك سنابل بيضاء، لا تطرح إلا أمانيها أن تبقى، أن تخلد، كابتسامة عليها.

دعيني أكون جنونك؛ كي أكون فيكِ على طبيعتي.

فأنا المجنون الأول، منذ عقود يتصارع في نفسي قابيل وهابيل، بلا سبب، ولا امرأة جميلة، والكهف حزين، والغربان هي أحلامي.

دعيني أكون غرورك، أو تايتانيك الغارقة على ريقك حين أموت، لا أجد خشبة تنقذني، بل أجد شفاهك!

دعيني أمزِّق كل دمائي لأفرشها سجادًا أحمر على كف يديك؛ لاستقبال كبار الزوار، أنفاسي وقبلاتي.

دعيني أصيب الموت بغيبوبة، حين يستنشق فيَّ الحياة بعطرك ووجودك، وأنساب على خُصَل شعرك كأحلام نجوم تمطر، دعيني فقط والليلة، أحضر للقمر كل مضادات الاكتئاب، حين يخجل من صيغة جمالك.

ودعيني أُحضر من جفنك عصيانًا مسحورة وأساطير؛ كي أطير بمقشتي السحرية على مدى جفنك وعيونك.

دعيني أحضر كل حفلات عينيك التنكرية، حين تضعين عليها الأحمر والأزرق؛ كي أتنكَّر في تلك الحفلات في صورة كيوبيد، وأبلل من دمع عيونك أيامي؛ كي أعرف كيف يكون الحزن هو الأجمل.

سأظلُّ أحبُّك، حتى تعلن الدنيا لحظتي الأخيرة، حينها فقط، سأترك الدنيا، ولكن، لتكمل هي الرسالة.

الحلمُ امرأةٌ لها قلبان

الحلم امرأة، لها يدان تدعو بهما أن تتحقق، ولها قلبان، قلب رجل يصرُّ، وقلب امرأة يسترها من اليأس، فأنت لا تحقق بالحلم كيانك فقط، بل تحقق كيان الحلم، فإن أوجدته؛ ردَّ لكَ الجميل ونثر عليكَ زهره وصفاته كما وصفات السحرة.

لا تجعل من الحلم سندًا لك، بل عش حياتك سندًا للحلم وابنًا بارًا له، فإن مات في داخلك نور الحلم، فادفنه في قلبك، فنور الحلم المقتول أفضل من ظلام اليأس المنتشي، وتيمم منه لصلاة حياة ووجود.

فالبشر هم الكلمة، والحلم هو المعنى، وشوقنا للحلم شوق كلمة لمعناها، وشوق الحلم إلينا شوق وجود إلى واجده.

ولا تقل الحلم كبير جدًّا فهو يفتح ذراعيه كل صباح فقط كي تدخل بينهما، ولا يكلفك عناءً فتح ذراعيك لكي يدخل بينهما، فلا تجعل منه وسادةً تهرب بها لعالمه، بل اجعل من نفسك وسادةً للحلم يهرب بها من عالمه لواقعك حين ينام، ومن خياله إلى حقيقتك التي تتمناها حين يستيقظ، ولا تتمنى، فالأمنية هروب والحلم قدر.

ولا تجعل قدوتك بشرًا قد حلموا، بل اجعل قدوتك الحلم ذاته، فإن هرب إليك الحلم كما امرأة مبتلة من ليلة ماطرة إلى بيت قلبك، فأَشعِل لها اليأس حطبًا؛ كي تتدفأ، وصبَّ لها الجمال كأسًا؛ كي تهنأ،

وغطِّها بعباءة جسدك؛ كي تهرب من خوف المطر، ففي رحلة الدنيا لا تثقل ظهورنا حقائب الحلم، بل هي زاد يعين على شقائها، فمن أثقلت ظهره الحقيبة فكيف هي الرحلة إذًا؟

واعلم أن الحلم أبدًا لا يتم، فالحلم ناقص كما البشر.

فإن انتهيت منه ابدأ بآخر، فقلبك يسع امرأة قلب واحدة، وألف امرأة حلم، فإن وقفت على خشبة مسرح الحياة، فاجعل الحلم هو الملقِّن وفاتح الستار والبطل الثاني.

أو البطل الأول في حياتك، إن ارتضيت بدور غير البطل، الحلم امرأة تجد فارس أحلام مختلف كل صباح بلا خيانة لكل فارس منهم، ولكن امرأة الحلم تعشق كما يعشق الألف منًّا، وتعانق كما تعانق السماء النجوم، فإن كانت أحلامك صوب نجمة منهم فأنت في اتجاه حضن السماء الأوسع والأكبر، وإن تكن فارس أحلام جديد.

البشر ماء بحر تغرب فيهم شمس الحلم كل مساء، وتشرق من أعينهم، وما بين الشروق والغروب يبقى البشر في الماء الدافئ من شمس الحلم، أو في ماء بارد ينتظرون الدفء عند الغروب.

هروبك من الأحلام يجعلك مطاردًا من ظلك ومن قرينك ومن ضلوعك، تهرب من أشياء تملكك كهروبك من حلم تملكه، وفي الحالتين لا هروب من امتلاك، ولكن يوجد امتلاك مع هروبك؛ كي تصبح ظلًّا لإنسان طريد وطريد لظلك.

الحلم لحن واحد، لكن البشر ألف أغنية وألف كلمة تغنى على نفس اللحن، فغدًا ستسمع موسيقاه لتعزف الملائكة على "فيولين" قلبك أعذب الأغاني، واعلم أن الأحلام طيور ترقص فوق أغصان شجرة بناها قلبك، فإن كسرت أغصانها طارت كالمجنونة تتخبط في

ضلوعك وتؤلمك، وهذا هو انتقام الحلم من قاتله، وانتقام الأمل من اليائس، فالأحلام أيضًا تنتقم، وتغضب، وتتألم، كما البشر، فإن آلمت حلمك جعل من وسادتك قاعة محكمة مسائية للندم وقاضيها الحلم وسجنها الحسرة.

ارهن أيامك للأحلام، واقترب من الحلم ومن يحلمون، واحلم كأنك تموت غدًا، فنحن لسنا وحدنا في الحياة، فمعنا الله والحب والحلم.


حشيشةٌ وأفيونةٌ

لم أزرع لغمًا تحت سريري أو أسأل أوردتي عن سكين أحلامها، لم أشتاق ليوم لا غربت فيه الشمس ولا يسأل عن نور الصبح، لم أعتد على فنجان القهوة بكذب قراءته ولم أسأل يومًا عرافة، هل هو مثل الحب خرافة؟

حشيشة:

راقصة شرقية تتحدى الرغبة فيك وتعميك ولكن لن تغنيك، ترقص وتهلل ثم ما تلبث أن تفضي لك بشقاوتها، قد ماتت فيه شقاوتها، بعد دقيقة، أفاقت ثم أفاقت ثم أفقت، ولم يمض الوقت، وتمرُّ الأشخاص أمامك مثل جنازة رسمية يبدأها الصمت ويختمها الكتمان، وتابوت يجري سريعًا، قالوا إلى جنته، قلت وبعد!

تخرج منه الأشباح تقول لن تنساها مهما شربت.

رئة:

الآن أنا في حالتي الطبيعية وبعيدًا جدًّا عن حد جنوني بحد جنوني، لن أسأل عن ساعة إلى يوم الساعة، لن أتقيأ هذا الشيء، سيظل الطعم في فمي ولن أنساه.

سيجموند فرويد، فسَّر ما تراه، وإليك كل أشعتي؛ أشعة "إكس" وكل جنوني على طاولتك، فسِّرني الآن، لن أهرب منك ولكن إلى صنف آخر.

أفيونة:

وسأنسى الأمس. هكذا تحدثت إلى نشوتي وانتشائي، فقلت: سأنساها، ملعون هذا الأفيون، لا يغمض جفنًا إلا وفيه تفاهات الماضي.

أذكر مثلًا هذا الرجل بقميصه الأحمر وقفت بجانبه كثيرًا؛ كي أرسم بعض الأزهار على الجدران.

فوجدت. فوجدت. آه ماذا وجدت؟

يا الله، لقد وجدتها مرة أخرى، تتحدَّث تلك الأزهار على الجدران، وقالت باللون الأحمر لن تنساها.

رئة:

الآن أنا في حالتي الطبيعية، وبعيد جدًّا عن حد جنوني بحد جنوني، وسأدع الدهشة على علتها، وسأترك وجهي مجرُوحا من وجعي بمعصيتي، وسأمشي في الشارع مثل اللص؛ كي لا أشعر مثل الأمس.

كوكايين:

تحسبه ملاكًا أبيض لكن تنبض فيه النار، تتجلى في ملامحه علامات النسيان، ولكن هو نفسه لا ينسى.

هو أرض ثلجية مثل مشاعر أصحابه، هو حضن امرأة بيضاء وشهية، لن أهمس كلمة الآن، دعوني أجرِّب كل جنونه وشجونه، دعوني أُوقِّع

معه عقدًا للصلح، الآن نسيت، نعم بالله نسيت، أنا من أحببت؟ أنا من أحببت؟

شعور رائع، أن أنساها.

رئة:

الآن أنا في حالتي الطبيعية وبعيدًا جدًّا عن حد جنوني بحد جنوني، الآن عرفت أني مريض جدًّا، كل المحاليل وكل الحقن بأوردتي، قالوا عناية مركزة.

قال الطبيب "ومن هي تلك التي تتحدَّث عنها في غيبوبتك، وتُغيِّر عنوان الغرفة إلى حبٍّ مركزٍ؟".

للأسف تذكَّرت.

متحفُ أحياءٍ عشقيَّةٍ

لم تأتني كغابات المسك كعادتها كل ليلة على طرف وسادتي، هو يوم للفقد ولحظات للافتقاد!

لم تتسرب من غار النور على جبهة القمر كما يوم آخر، ربما رآها القمر على جبهته فظنها المكتوب!

تعالت صيحات الأحصنة الطائرة على صدري، وجو الفانتازيا العشقية وأميرات الحفلة والتفاحة، شيء ما يدفعني لأحول عمري منديلًا؛ كي أصبح ساحره وأحوّله إلى يمامة بيضاء، لكن المنديل مبلل بدموعي المسحورة أصلًا، وتيجاني الملكية المسلوبة في عينيها، لم تأتني لتشق بأناملها الزهرية نهري المتثائب من هجرة طيره، أو تجلس لتُمشِّطَ شعر وحدتي وتُعقد له الضفائر ككل يوم، ولم تُقبل فورة دمائي؛ كي تتحول نافورة أمنيات تتجسد في شكل بشر.

أين هي الآن؟

عجبًا لا أراها حين أحط رحال عيوني في صحراء الشمس، لا أراها حين أحاول أن أنهش لحم الغربة عنها بأسنان من صنع اللؤلؤ، لا أراها في صلوات الطير وهمهمة البحر وهنيهات الجمال.

لم تهرب منِّي بعيدًا، فهي إن هربت منِّي فهي تتدلل أو تختبئ مني داخلي.

جريت سريعًا أسأل أسنان المشط، أعطاني درسًا قاسيًا في أن أتساوى كأسنان المشط مع عشقي ولهفي ولا أدعه يغيب لحظة فتتوه عنِّي أميرتي، تركته وهرولت إلى ملابسي، فأعطتني درسًا قاسيًا وقالت لي أن أتدثر خوفًا من عتاب القدر وعتاب العشق، حاولت أن أستجدي الأمان من ساعتي، لكنها توقفت وقالت لي هكذا حياتك الآن دونها، سألت القلب فقال إنها لمسته آخر لمسة كلمسة مصباح سحري فخرج منه الجني وخرجت معه الأمنيات، لم تبقَ أمنية واحدة للقلب إلا وأخذتها.

سألت أصابعي فقالت لم نهجر تلك الأوراق منذ فترة ولم نرها، رحلت أم صاغت مثواي آلامًا وجنونًا!

لماذا تهجرني وأنا فارس موقعة السكر في شفتيها؟

رحلت ولم تقل لي هل كان الرحيل قدرًا أم اقتدارًا؟

تجمد داخلي كل شيء ولم تلهبني الشمس من حينها ومنذ أن رحلت رثت الدنيا لحالي فاحتضنتني، لكني رأيتها مرة أخرى، في عيون الدنيا وكانت آخر كلماتي وأنا احتضن الدنيا نظرة واحدة أخيرة، أصبحت كما رجل الشمع في متحف أحياء عشقية.

سأل طفل والده أمام تمثالي "أبي هل هو ميت؟"

فغمزت إلى الطفل وقلت بل، عاشق.

فزع الطفل، وسقط على رأسه.

أفقت سريعًا من نومي، أمسكت صورتها، وقبلتها؛ لأنني كنت هذا الطفل، وكنت أرثي على حالي.


حلمُ الغرفةِ الوحيد

ثلاثة للحيرة، أولنا القلب، وآخرنا الجدران، لا تشغل بالك عن معنى الوحدة، حين أكون أنا، حلم الغرفة الوحيد، حين يخرج الصبّار من حلمي، وتعزف الوسائد أناشيد وجودي.

أولنا القلب، لم يخرج للنور منذ سنين، في ظُلمته بصيرته وفي كهنوته وجود، خُيِّر ما بين الموت وما بين حواء، فاختار الموت، أو أيهما أقرب، لم يُشعل في الظلمة نورًا، واستتر بقفص صدري زائف، ظلَّ إلهًا للحب بداخلي، يبعث من يشاء من مشاعري، ويُحاسِب من يشاء، دون قيامة واحدة، لحب آخر.

والثاني أنا، حلم يرتعش في عقل صبي، لا يعرف هل سيحققه أم يخرجه من داخله، وما بين حيرته وإرادته، أظل خيالًا، أو وجودًا آخر، يحلم بولادته ولو مستعصية.

وثالثنا الجدران، آخر وطن للصلصال، تتشكل من نظراتي قصور وحدائق إن شئت، جنتي التي لا أملكها، وحُلمي الذي لا أصلي لأجله، وعلى الجدران، تتناثر كلمات الحبِّ، التي خُلقت النساءُ لأجلها، وخُلق الرجالُ لقولها، وخُلق الحبُّ ليُطفئ فيها غرورَه.

لا أرى الآن من شُرفتي إلا الزيف، فالانتين خرج من قلوبنا واستتر بدمية، لا أرى من نافذة الوحدة، إلا الحب الخالص، علمتني هي، كيف أحب بإخلاص، ولكن نفسي، أن أُقَبِّل يدي كل صباح، وأتغزَّل بعيوني، أن أنثر نفسي كل صباح كما الكلمات، لتُلملمُني في آخر ليلي، ولكن كلمة فراق.

لا أعرف أي قوة تملك هي؛ كي تجعل من حلمي قاتلًا مأجورًا، يقتلني بحب، ويذلني بكرامة؛ كي تجعل جبلًا من ثلج فوق القلب، ويخرج من جبل الثلج البركان، وتجعلني حلم أنثوي، تُغنيه لفترة ويلفظ آخر أنفاسه فوق ضفائرها.

أنا رجل قدر للوحدة كصديق، وقدرت له الوحدة كقدوة.

أنا كهف يعشقه الضوء ويكرهه المطر، أنا سكن لعيون الناس وأصوات الطير، أنا مرآة جحا، يرى كل منكم في نفسي شيئًا مختلفًا منه.

من أنا؟ أنا لا أعشق الوحدة، أنا الوحدة.

القلوبُ نسوةُ حبٍّ

وصلت إليك، في رحلة عمر لم تستغرق عشر سنين ضوئية وفردة كعب، في رحلة لم تُتّعب أحدًا إلا عيوني من اللهفة، وقلبي من الشك، وجسدي من الحيرة، في رحلة وصولي إليك، رحلة للوصول إلى نفسي.

وفي أثناء الرحلتين إليك وإلى نفسي، نصطدم ببعضنا؛ لأصبح شطرًا في بيت شعر والعالم بيت الشعر الكامل، وفي قافيتنا حلم الحب ولون عينيك.

أصل إليك كطفل يتلهف على فاترينات ملابس العيد، وأصابعه الصغيرة تلهث ببخار الرهبة والشوق، لم تأتِ أنت من مقامرة طاولة فراغي على الوقت، بل من مقامرة يقيني على الجمال.

في عينيك أحاور نسوة لا أرهبهن، في زيٍّ سجايا العشق، وأحاور المستحيلات بلغة النور التي تعلمتها من عينيك، أستغيث من جمالك بشربة منه، لكني أظمأ بعدها أبدًا، وأذهل حمرة الورود في خديك بألعاب قلبي النارية من شرر حكايات الماضي، تخرج من عينيك فراشات وغزلان فيتحول قلبي إلى محمية عشق أبدية لأرواح هربت من عينيك.

عينك لا تتفقه في الجمال، بل يتفقه الجمال في علم عينيك وطنًا وشرايين، وأبيات شعرية تَتَكحل من كُحلِ الدهشة وتزجج حاجبها بنظرة استلهام لعينيك، أغير من الشعر، فأقرأه كي يخرج مقتولًا، تخرج من عينيك أميرات بفستان طوله ألف سنة، يجره ألف قلب وأطرافه

الموت والحياة والغرام، وأنا، لا تسقط من عينيك شهب ونار تُعيدني إلى السماء، فالسماء لا تفتقد عاشقًا؛ لأن لديها الشمس والقمر، وحين أنظر إليك أرى البيوت مراكب تسير، ويُصيبني دوار الحب في غرفتي، فكل البحار تحتنا حبٌّ، وكل الأعاصير القادمة حبٌّ.

والحب في قلبي لا يملك أي قلب، فيصبح قلبي ممتلكًا لمن لا يملك، حتى تتملكنا الحياة، حين لا يُمهلني الوقت فرصة لأراك، أُمهل أنا الوقت لحظات كي يَستعيد فيها رُوح العشق، أشعر بالإغواء حين يَشتهيني الحبُّ، أقول هيت لك، فكل الرجال نسوة حب، والنساء نسوة حب، والقلوب نسوة حب، لا أعرف هل كيوبيد رجل أم امرأة؟ فلو كان رجلًا لرفق لحال رجل مثله، ولو كان امرأةً لشعرت ما أشعره، الحبُّ يتيمٌ كما القمر، لا يجتاح قلبي إلا لحاجته لي، حاجته إلى قلب يرعاه لا إلى قلب يمزقه هو.

الحبُّ فعل احتياج وليس فعل اجتياح، وأنا في عينيك أحتاج إلى الاجتياح، أن تحاصرني وتقهرني رموشك عمرًا.

وصلت إليكِ كيمامة اكتشفت جناحيها الآن، ثم شعرت أن الأرض وطنها، لكنها احتاجت إلى وطن أكبر بسعة جناحيها، فاختارت عينيك.

وصلت إليك كعاشق يمسك وصيته الأخيرة، مكتوب فيها أعطيني الكحل وتيممي بسلامي.

وصلت إليك رجلًا فقد خلوده؛ كي يقرأ لغة الفناء الخالد فيك، مشيت إليك حلمًا، فتحولت في نصف الرحلة إلى أمنية، وفي نهاية الرحلة إلى استحالة، ودخلت عينيك أسطورة.

شربت من بين يديك رباعيات الخيام ونثرت زهورك فوق سريري كي يصبح النوم حلم يقظة، ويقظة حلم.

وصلت إليك، لكن في وسط الرحلة أعياني غرامي فاستيقظت من لعنة الأمير إلى رجل عادي، ومنعني من الوصول الكامل شيء ما، ما زالت أحاول إدراكه، يكفيني شرف وصولي يومًا ما، حتى لو عدت بزهرة فقط، يكفيني رحيقها ما حييت!


قلوبٌ تسألُ

قلوب تسأل أين الله؟

وحين تُحبُّ؛ تسأل أين الناس؟ أين الأماكن؟ ولا تسأل أين الطير وأين الأشجار؟ فهي تُغرِّد في كل شبر من قلبك.

حين تُحبُّ؛ لن تهرب من وحدتك ولكن تستلقي بجوارها، تحكي لوحدتك عن العشق وأيام عذابك، وكأنكم سجينان في زنزانة عشقٍ.

حين تُحبُّ؛ تهرب من نفسك كرائحة الزهر، تحمل سهمَك في مهمة لكيوبيد، وتنذر كل الدنيا بحريق قادم، وتنسى أن الحريق داخلك.

حين تُحبُّ؛ تشعر بحديث النسيم ووجع اللوز، تسمع ما يدور في عقل القمر، وتجد الغربة في الألفة أحيانًا، ووجعك في سعادتك عادة، ودمعك في بسمتك دائمًا.

حين تُحبُّ؛ فتصير مؤرخ عينيها، في أي يوم بكت، في أي يوم ضحكت، وأول لمسة، وأول قُبلة من عينيها.

حين تُحبُّ؛ ترى ملكين على كتفك، وتخاطبهم سنةً كاملةً، وتظنُّ أن ما يكتبونه، هو فقط الشعر.

حين تُحبُّ؛ تشتاق الدنيا إلى راحة كفك؛ لتنام عليها وتتدثر بلمعة حلم في عينيك.

حين تُحبُّ؛ تنظر للنجوم بشكل آخر، وكأنَّ لمعتها هي تخاطرٌ عن بُعدٍ مع حبيبتك، أو شفرةُ حُبٍّ، من أقرب قلب.

حين تُحبُّ؛ تقرأ أوراقًا بيضاء لا كلمة فيها، ويكون شعرك أنت وكلماتك أنت، وتظنُّ أنها ملك للورق.

حين تُحبُّ؛ لا تشتاق لرائحة العنبر، عطرك في أنفاسك، عطرك في نظراتك، العشق هو رائحتُك.

حين تُحبُّ؛ تهرب من كل علامات الاستفهام، فالحبُّ هو الإجابة!

حين تُحبُّ؛ تدقُّ على باب الشمس، وتطفو كزهرة هندية محمَّلة بالأماني فوق النهر، وتبقى كرسالة في زجاجة، من عاشق على جزيرة.

حين تُحبُّ؛ يجتاحك وطنًا آخر؛ ليُدق في قلبك أوتاده وجنونه، ويمد خيامه على مجرى دمائك، ليسكن فيه امرأة واحدة.

حين تُحبُّ؛ تتأرجح فوق الخط الفاصل بين رجولتك وصباك، فإن غلب أحدهم، فالخط الآخر، بين العقل والجنون.

حين تُحبُّ؛ يخرج من قلبك قنديلًا للدنيا، وتصير أناملك البيضاء نوارس، لا تلهو إلا في ميناء عيونها.

حين تُحبُّ؛ تسعد بوجهك في المطر، وبملابسك المبلَّلة بالطفولة، وبقلبك الغارق في مطر آخر.

حين تُحبُّ؛ ترى لأول مرة سرعة الضوء، حين تمر بها، أمام من تُحب.

حين تُحبُّ؛ تمتلك العصا السحرية، وتُزيِّنُ كل امرأة بزيٍّ سندريلا، بلا حفلة ولا ثانية عشرة.

حين تُحبُّ؛ لا تخشَ من المجهول، فقد أصبح صديقك المفضل.

حين تُحبُّ؛ تدخل عالم الحقيقة، من بوابة الحلم، ليتراءى الضدان شجونًا وجمالًا.

حين تُحبُّ؛ تصعد للشمس في كل صباح، فقط كي تأخذ ثوبك، المزيَّن بالنور.

حين تُحبُّ؛ تظلُّ تنتظر المساء؛ لتشعر فقط بقرب الصبح، الذي سيجمعكما.

حين تُحبُّ؛ ترى ما ورائيات الدنيا، لا ملائكة تخفي ولا أشياء مدهشة؛ لأنك مع الدهشة في حلم واحد.

حين تُحبُّ؛ تنكر وجودك أحيانًا؛ كي تقر بأحلامك.

حين تُحبُّ؛ تباهي القمر أنك على الأرض، وتُخرج للطير لسانك، وتقول لستم مثلي عشاقًا.

الرُّوح لا تهربُ أبدًا

من أقنعةِ الأجسادِ

الرُّوح لا تهرب أبدًا من أقنعة الأجساد، لا تعرف لغة وداع كما تعرفُها العيون، لا تعرف لغة الواقع كما يُدركها الجسد، لكن لغتهم المشتركة جميعًا هي الحب.

للرُّوح أربعة جدران كما الوحدة، جدار تقتله بحريتك، وجدار تمحيه بأملك، وجدار تمحيه بقوتك، وآخر جدار تَقتله بحبك، فتصير الرُّوح قيثارةً حرةً، أينما ذهبت عزفت، وأينما وُجدت أوجدت.

إن كنت لا تملك أَمَلَكَ أو قوتك أو حريتك، فتستطيع أن تطلق عنان رُوحك من جدار الحب، إن لم تستطع قتله فلوِّنه، أو زيِّنه بألوان عواطفك وحواس قلبك، امسك فرشاتك، حاول أن تُعطي جدار رُوحك هبة الألوان ونعيم الجمال، حاول أن تجعل من دمائك مدينة ألعاب مائية لرُوحك؛ كي تلهو قليلًا مع طفل كيانك، فيقتسمون الخبرة والبسمة، لتصير رُوحك رجلًا برُوح طفل، وكيانك طفلًا برُوح رجل، حاول ألا تبكي في أرض واسعة، فتأخذ الريح دمعتك وتزرعها في أرض الأحزان، فتنبت وداعًا آخر، قد يكون وداعك أو يكون وداعهم!

اجعل دمعتك وحيدة وبسمتك عاشقة، واعرف أن أجمل ابتسامة هي الابتسامة التي تبتسمها لمن تحب، فعندما تكون الابتسامة مسك ختام لقاء عشق، فيصير الانتظار حنينًا، والفرحة شيئًا لم يتمم حلمه، والكمال صديقًا قادمًا!

اعرف أن الجنون هو هبة الحياة إليك، أو رُوحك الهائمة التي

ستصطدم يومًا بصخرة الحب، كما اصطدام البحر بصخوره، فيصير الحب داخلك جنون الحكمة، أو حكمة الجنون!

حاول أن تتعرى أمام الحب، من لغتك من نوعك من صفتك من لونك من شكلك، ليصير رداءك الكامل، حينما يجمعكما أول حضن، إن جمعتكما شمس واحدة، لن يُفَرقكما قمر أو حكايات ليل.

تعالَ على نفسك حينما تعشق، لتشعر توسل القلب، وذل جسدك، وبكاء رُوحك، ولا تحكم غرورك حينما تعشق، بل اجعل الغرور منطقًا والتعالي فضيلةً؛ لأن الحبَّ اختارك، اجعل قلبك يفهم معنى ذلك جيدًا.

لا تقل أبدًا استسلمت للحب، فهو لفظ خاطئ، أنت رهينة شِئتُ أم أبيتُ، لم تستسلم بإرادتك، بل أصبحت رهينة كيوبيد، وتحت أمر الوداع إن أراد أن يطلقك، ستفضل سجنك، وتعشق حبسك الانفرادي.

لا تقل الحب مرض وتُحاول أن تتعافى منه، الحب جسد كبير برُوح العالم، العاشق أحد أمراضه وأحد آلامه، أنت الوخزة في صدر الحب، وليس الحب هو مرضك!

إن اختارك الوداع، فلا تتألم بل تأمل في الوداع جيدًا، ستجده اللحظة الفارقة بين حياتك وحياة الحكمة فيك، فخذ منه الحكمة ولا تأخُذ فقط نصيبك من الدموع، فالدموع زائلة والحكمة باقية!

خذ من جمال من تحب مدينتك الفاضلة، واجعل من عينيه قصور وحدائق وتفاصيل جمال، حتى إذا حدث الوادع، تكون أنانيتك قد نفعتك، وتكون أخذت نصيبك منه، جمالًا يبقى!

لا تفاضل بين رُوحك وجسدك حينما تعشق، فغيرتهم من بعضهم البعض ليست في مصلحة مشاعرك، تقاسم معهم الغنائم العشقية،

اجعل جسدك متأملًا ورُوحك تستشعر! استتر من نفسك في تفاصيل وملامح الحب؛ لتصير احمرارًا على خديه، فيكون ذلك صيفك، أو رمشة في عينيه، ليكون ذلك ربيعك، أو نبضة عاصفة في صدره فيكون ذلك شتاءك، لا تنتظر أبدًا خريفه، فهو الهجر والغضب!

اقترب للحبِّ كلما تقربَ إليك، اجعل رُوحك نافذة لقاء لا نافذة وداع، وتجمل، تجمل، تجمل. من صفاته لصفاتك، ومن رُوحه لرُوحك، غنِّ أنشودته، ليغنيك يومًا ما أمام الدنيا.



السيرةُ الذاتيةُ لكابوسٍ

الكابوس:

أحببت حبيبتك القمحية من يوم لقائكما، لا أعرف وطنًا غير الحلم ولا بيتًا غير النوم، لا أسكن إلا دموع الوسائد ومملكة الخيال، لا ألعن إلا النور وهمهمة الشمس، واخترتك بيتي، واخترتني مرضك المزمن.

أنا: انزعها من رأسك قد كانت حلمًا،

الكابوس: سنوات كُنت أراها على شاطئ حلمك، كانت فوق يديك تُغطي سحاب الحقيقة، وأحببت أنا ضعفك، وتركت الحلم ليكسر آخر وتر في هذا اللحن، ومات الـ...

(أقاطعه): صه، ما مات الحبُّ، حذارٍ! حذارٍ أن تصنع حبلًا من كلماتك كي تُعدم به، لن تجرأ أن تجرح هذا الحبَّ، سيسلط فوقك دخان وقصور وعفاريت، سَيُبعثر آخر أوراقه ويمزقها فوق كيانك؛ كي تبقى كابوس، ويظل هو الأسمى، ويظل هو الحب،

الكابوس: أخرج من جيبك هذا المنديل الأبيض، يا ساحر هذا العصر، لن تُخرجني بضعة كلمات حمقاء عمّا أفعله، سأظل بزيِّك عطرك وأظل في قدميك كحذائك، وأظل على طاولتك كي تأكلني وأبقى في وسادتك كي تستلقي على جحيمي.

أنا (في حدة): تعويذة حُب خالدة تُخرجك بدائك من دائي، وأظلُّ وحيدًا، حرف نداءٍ دون منادٍ، سأُفَضِّل أن أبقى وحيدًا بلا أحلام ولا

كوابيس؛ لأنام وأرى الحبَّ يعلِّق راياته فوق هلاكك.

الكابوس: تخرج من جسدك كالدخان الأبيض، تستلقي بأوتار مسروقة من عزف حبيب آخر،

أنا (أسقط): لا، لا تكمل.

الكابوس: تتعطر من نفس العطر ولا تشعره وتشعره الدنيا بأكملها، تسكن عينيها ولا تراك، وتحارب بيديك رموش العين ولا تخرج منها، وتظل تقرب، وتظل هي الأبعد، وتُخالج فيك الموت؛ لكي يصطنع البسمة ولا يقتلك، يكفيه عذابك، يكفيه أنينك.

أنا: مجنون، خلفك عقدة حلم زائفة تجعلك الأضعف، مفصوم بين براءتك وجحيمك، عقدة طفل الحلم ما زالت تستجمع كل الشغف؛ لكي تضربك بقوة، انظر في المرآة، أهذا الوجه الذي تتمناه؟

انظر.

الكابوس: كفى أيها الملعون، وكيف لك أن تعرفني وأنا كابوسك، لن أخرج منك، لن أخرج منك.

أنا (ألقي عليه التعويذة): باسم الحب وباسم عيونها البنية وبشرتها القمحية، ألقي عليك تحية من لن تسكنه وأنت بداخله، وأُحارب طيفك في كل ميناء للحب وشمس للنور، وأُزاول في قلبك مهنة سيِّدك الأعظم، الحب، وأحل محل وريدك عطشًا وصراخًا ونحيبًا، باسم الحب ثلاثًا، باسم الموت ثلاثًا، باسم ملكوت عينيها، بكرة وأصيلًا.

الكابوس: ماذا فعلت؟ لقد قتلتني أيها الـ...

ومات كابوسي الأكبر، وأنتظر الحلم ليأتي، في طرف قوس قزح الكنز، وفي طرف كابوسي أرى الحلم القادم.

شربتُ في عينيكِ كؤوسَ النيرفانا

اليوم في عينيك، لا تتجاوز فيه الأحلام عمر العشرين، أحلامي في عينيك مراهقة جدًّا، تَتَقنع من كل النزوات برمش أو رمشة عين.

اليوم وجدت في عينيك قصائد تتبرّأ من شاعرها، وشعراء يتبرّأون من أقلامهم، وأساطير تتبرّأ من راويها، ولا أعلم ممّا أتبرّأ أنا في عينيك، فتبرّأت من نفسي!

اليوم شرِبت في عينيك كؤوس النيرفانا، حجزت طاولتين للعشاء، والمدعو أنا ورسالة حبٍّ، وبيننا ضوء شموع.

اليوم على عينيك عزفت قيثارات الشكر لله، وعلى أصابعك عزفت أناشيد سلامي مع نفسي، وعلى شفاهك رحلت.

قنديل يُضيء قُبلة الموت؛ كي أحظى منك بقُبلة الحياة.

اليوم تفنَّنت مشاعري في كتابتها بالحبر السرِّيِّ، رسالة لا تُقرأ إلا في عينيها، لامرأة مكتوبة بحبر الدنيا السرِّيِّ.

اليوم زرعت نفسي كشجرة في عينيها، والأرض خِصبة والسماء ستمطر طول العام؛ كي أكمل هذا المشهد، بشجرة فل، أو بنفسج!

اليوم عرفت الموت عاشقًا ومستعشقًا، ومعاشقًا، ومتعاشقًا، وكل ترانيم اللغة العربية في وصف العشق؛ لأني اليوم رأيت أنا الذي لا أعرفه، أنا الذي خلقته امرأةٌ.

اليوم أكلت سحاب السماء في فمي؛ كي ترعد؛ كي تبرق؛ كي تقتلني ظاهرة أخرى، غير ظاهرة عينيها.

اليوم تسلَّقتُ جبالًا وحضنت بحورًا، ركبت جناحات النورس، سافرت في كينونة اللون الأبيض، بدمي الأحمر، وصنعت من اللونين لون عاشق بدرجة مجنون!

اليوم خُرافاتي تُقبِّل يد الحقائق؛ كي تحصل منها على اعتراف واحد، هل أحيا الآن؟ أم مسلوبة رُوحي في جنة خلد؟

اليوم أُشاهد خمسين راقصة باليه على فمي، وخمسين عازفة فيولين على قلمي، وخمسين شاعرًا وفيلسوفًا على دمي، وخمسين خسوفًا وكسوفًا في أعماقي؛ ليُصبح جسدي، أوركسترا السماء، لعينيها التي تنظُر إلى السماء.

اليوم تعانقت الرحمة والقسوة، والخطوة والتردد، وانتصاراتي وانهزاماتي، باركوا كُلَّهم وقبلوا بعضهم، في حفلة سقوط قلبي في قفص الاتهام، لحُكِم سَيؤجِّله القدر، وقاضيه لم يأتِ بعد!

اليوم زحام، زحام مشاعر جم، وزحام أحاسيس يقتلني، وتُضيق عليَّ أبعاد جَسَدي، مكعب، مربع، مثلث، تفاصيل هندسية لا تليق بعذوبة الغرام، ولكن جُزء من الواقع يتبقى دائمًا!

اليوم تُطارحني الدنيا الغرام، وتطرحني أرضًا بالغرام، وتطحنني كحبات البركة، لتُبارِك الغرام، تحرق قلبي ليخرج منه رائحة الفل، لأصير مبخرة الغرام!

اليوم في عينيها، سنة ضوئية، تتلون فيها كلمة سبحان الله، وتركُض فيها غزلان وطواويس، تترامى أوراق الإلياذة البيضاء على مدى البصر، إن نظرت إليها وأحسست النظرة!

اليوم في عينيها، جمعت مساحات شجوني، ورسمت منها مساحات خضراء، وطن جديد يحتضنني، جمعت أصوات بشر تُحدثني، وعيونًا من مسك، قُبلتها العطر، ونظرتها السلام، أهرب من نظرتها، أهرب من الاحتراق إلى الاحتراق، من احتراق قلبي إلى احتراق لهفتي.

هو قراري الأخير، لا حل إلا الهروب.


منتصفُ ليلِ سندريلا

حين أحببت وقفت على حافة الجنة لأستنشق النار.

قلت: على عينيك علامة بيضاء، أحسبها لآخر مَلاك هجر من عينيك لعينيك.

قالت: خدرت لحظة قادمة بعسل القول بدل من أن تُخدرنا اللحظة بتفاحتها المسمومة، قل لي ما أكبر أمنياتك؟

- أن أسقط شِعرًا.

- قاطعتني، لا لا، فالشعر له شيطان، وملائكة عيوني تخاف عليك شياطين الشعر.

- وشياطين شعري وجنوني لا يقهرهم إلا ملائكتك وفردوس حُسنك.

- كلماتك كشفاه عذبة تُقبِّلني وأشعر بالقُبلة كأغاني في دمي المسكين وقلبي المقتول.

- أتمنى أن تُقبلني كلماتي في هذا السفر المُدهش لأسكن فيك آخر أغنية بأول أمنية.

- قلبي مُحاصر منك ومن شمس غروب ومن حُبي لنفسي حين أراني بعينيك.

- لن تري نفسك بعيوني؛ كي لا تُصبحي آخر حدودك وتعشقي نفسك حتى الموت وتُصبحي جنة نفسك.

- لن أرى نفسي بعيونك؛ لأني فيها الأحلى والأجمل وأريد أن أغتسل في نهر جمالي بعينيك؛ كي أصبح أجمل صفة فيك.

- جنتك في عينيّ والحور واحدة.

- لا جنة لنفسي إلا يديك الحانية على عينيَّ؛ كي تهرب منِّي سندريلا في كل مساء وتدعي أنها الثانية عشرة وأعاود لقاءك بقلب جديد وحبٍّ أكبر.

- لن تهرب سندريلا حين يعتنق الأمير ديانة جمالها ويصنع كل مساء حذاءً آخر؛ كي يدقَّ قلبه الثانية عشرة كل لحظة.

وتصير الحفلة مُدهشة جدًّا، مُدوِّية جدًّا، مُذهلة جدًّا؛ كي أُبقيك بنبضي عارضة الأحلام الأولى، وأُبقيك بضلوعي فتى الأحلام الأول والأخير، وضاعت ليلة أخرى، وضاع غروب آخر، ولم نُكمل باقي الحديث، وطيف الياسمين يقول، للحديث بقية.

جريمةُ التيوليب

أعشق، زهرة تيوليب تشرب من دمي، وتُجافيها مضاجعها إلا شراييني، لا يخرج إحساس منِّي إلا بلهجات الزهر الأربع؛ الحب والكبرياء والدفء والأمل، لا أسقط من صهوة جوادي إلا على أحضان دافئة، غيبياتي تَظهر واحدةً تلو الأخرى منذ عشقتُ.

لا يُوجد سر قادم أبدًا ومفاجأة كبرى.

من يعشق لا ينتظر مفاجأة أخرى أو سرًّا أكبر.

ينابيع أحاسيسي تتفجر أقمارًا وشموسًا؛ كي تخلق ألف شروق وألف غروب؛ لأكون أنا العاشق المنتظر، لهذه الدنيا، أو العاشق الدجال، لقلبي!

قلبي يستمتع بالمشهد، لا يوجد فوق المسرح غيري وهو المُشاهد الوحيد، المُعجب الوحيد، والمفتون الوحيد، والمُصِدق الوحيد في موهبة نبضاتي، أينما ذهبت يأتي ورائي ليقول: "مُمِكن تكتبلي في الأوتوجراف ده؟".

أقول له في الخارج عالم آخر، لا تمرض بي، لكوني عالمك الوحيد، أو لكوني بيتك الوحيد، وحبك الوحيد.

في كل مساء أجلس على مائدتي مع حواري الحب، بلا نهاية أخيرة، ولا عشاء أخير، نتهامس في ما فاتنا الليلة وما سنراه غدًا في لقاء معها.

أحاول أن أتغيَّر إلى سُنة من سُنن الكون، أو شيء يراه الناس

اعتياديًا كما الهواء والشمس والقمر، فأكون حينها حصلت على صفة من صفات الحب، أو افتراضية الحب والغرام!

أُزَين كل ما يختلج داخلي بفساتين وأساور؛ كي تستقبل امرأة حين تسير، يسقط من حولها بعض رماد رُوحي التي احترقت داخلها، أو بعض تفاصيلي التي هاجرت إليها وتنتظر قرار العودة بنظرة!

أترك للتيوليب حق الاختيار، إن كان سيعصر إحساسي حتى الموت، أو كان سيمنحني شهقة أخيرة لأنفاس الغرام.

قلبي ربيعيٌ جدًّا؛ لذلك أجعل الزهور سيدة الموقف، أتوهج قنديلًا في صحراء عينيها، أبحث عن لغة الكنز المفقود، بخارطة طريق الجمال، وأُصارِح جنوني باعتقاداتي؛ ليكون لي حق الاختيار بين جنون الاعتقادات، والاعتقاد في الجنون!

أعيش راهبًا في الحبِّ، على زهرة وقطعة خبز، وماء المطر وشهد عينيها، بلا تيوليب يقتلني، وإن كنت أشعر به يلتف الآن حولي، يُحاول مرة أخرى في جريمته المشروعة، في عُرفِ الحبِّ.


وجهان للنهار

البصر هناك، يتفتح كالزَّهرة ليغلف أوراقه بكؤوس من خمر النظرة، ويعود بحكمة.

لا عاصمَ لَكُم مِن العِشقِ، فالعشقُ وصالٌ دونَ اتصالٍ، ومؤانَسَةٌ دونَ مُجالسةٍ، فاعلَم أنَّ الحُبَّ فيكَ البَصيرَةُ، وإنَّما أرواحُنا لهُ مَلاذٌ، فمن امتنَّ به فقد فاز، واعلم إن عَشقت أن اللهَ اصطفاك؛ ليتمَ نعمَتَهُ عليك كما أتَمَّها على سواك؛ ليصبح جسدُك مُخضَرًا كجذور الحُبِّ، ويُصبحَ وطَنُك وحَواسُك في داخِل قَلبٍ، فتحمدَ اللَهَ على بَصرٍ يتامَلُ، ووجهٍ يَتَجملُ، وقَلبٍ إلى بداية، وعذاب بلا نهاية، فقد سَكَبَ الحُبُّ عليك كأسَهُ؛ لتُصبح صُبحًا أبيض، وأمَلًا أوعَد، وليُصبح انتصارُك انتصارَه، وهَجرُك انكسارَه، ليَنضح في وجهك جَمالًا، وإن تمت يتم عليك ليل خَلوق، ويخلق من قُلوبَكم فضَةً وعَسجَدًا، ومن أرواحكم عَنبرًا يَتجدد، ليخرج من سعادتكم جَنة غَيركم، ويضرب قُلوبًا أخرى بسَهمِكم، وليصبح لكل عاشق منكُم وجهان للنَهار، حين يَطلُ عليها وحينَ تَطل عليه، ويُصبحَ لكُل عاشق منكُم وجهان لليل، حينَ يَرى القَمَر بعينيها وحينَ ترَى القَمر بعَينيه، فإن خَرجَ لأَرض سارت تلكَ الأرضُ إلَيهِ، وإن نامَ على نَهر غَطى النَّهر جُفونَه بيدَيه، فإن رايتم عاشقًا فتَيمَّموا به، واعشَقوا عشق مُودع، واتركُوا أرواحكم لنَهار مُبدع، فالعشق لا يأتي مَرتين، وإن أتى فأيهُما أصدق، أنت أم هُو؟

الحبُّ مرة لا تَليه كَرة، حلم مُلاب، يضنيه العَذاب، فانسى فيه أَمسَك، وأخرج مُمسكًا قلبك لشَمسَك، فالحب قادم!

وتعود النظرة مورقة جدًّا كغابات العشق وما زلت أشرب من كأس نظرتها ولا أنتهي.

الحبُّ قاتلٌ مأجورٌ

الحبُّ يعشقُ نفسه، يُحاول أن يَضع السم في كأس نشربه؛ ليقول "أنا أمزح، فالسم لذيذ"!

يطعن فينا القلب ويهرب، تتبعه بدمائك، فيقول "القتل رحيم"!

إن أرسل جيش كيوبيد ليُحارب مشاعرنا، ويبتسم بعدها "الحرب خدعة"!

قلوبنا جميعًا في جرح الحب، فإذا اندمل الجرح علينا، عِشنا عُشّاقًا، وإذا سِلنا دماءً، كنّا تَجرُبةً، وفي الحالتين جرحًا!

الحبُّ أنانيٌ جدًّا، يحتاج دموعنا كي يشرب، ضعفنا كي يقوى، وحيرتنا كي يستقر، ويأسنا كي يستمر، وسقوطنا كي يقف على قدميه، ويصيح بصرخة "أنا الحب، والباقي هوان".

الحب أنانيٌ جدًّا، لعبة ويجا، أينما حركت يديك، تنال عذابًا، أو سعادةً مؤقتةً!

الحبُّ قاتلٌ مأجورٌ، سلّطه الزمان علينا، ليأخُذ أجره، كسرة قلب، أو جرح لا يهدأ أبدًا.

لا ينظر إلا في مرآته، لا يسمع من قلوبنا أغاني فيروز، أو موسيقى "سيكريت لاف"، أو نبضًا يتلون بقصائد الوجع، لا يهتم بانحناءة رأسك ألمًا، فهي ترفع رأسه أملًا.

الحبُّ مريضٌ نفسيٌ، تسمع ضحكته أينما ذهبت وقهقهة الفرحة داخله، كلما ازداد بُكاؤك؛ ازداد صوت صدى ضحكاته الغريبة، وكلَّما

اقتربت منه؛ تراه يجري حولك، يغمض عينيك بعصابة ويتركك تبحث عنه وهو بجوارك!

الحبُّ هزيمتنا الأولى، التي ننتظر بعدها انتصارنا الأخير، لكن كلما اقترب النصر؛ نستشعر مرارة الهزيمة أكثر.

الحبُّ وطن تأشيرته الحزن، وحدوده إلى يوم تُبعَثون، بيوته أوهام ومرايا وسراب، لتكون كالتائه في مشهد من أفلام الرعب، أو عرقًا أخضر نافرًا في وجه الكابوس!

الحبُّ ظِل متحرك في صحراء ممدودة، كلما جريت إليه؛ تزداد الشمس لهيبًا، ويزداد قلبك ولعًا.

كم أكره فلسفة الحبِّ في عذابه وقهره، فأنا أجمع أشيائي وأسلحتي، اعذروني جميعًا، فأنا ذاهب كي أقتل هذا المجنون، إلى الأبد.


في الغرفةِ آخر صندوقِ الدنيا

حين يُلخص هذا الطفل عالمه في صندوق، وأحلامه في طائرة ورقيَّة، وقلقه من المستقبل في لفظة "عو"، كنت ألخصِّ هذا العالم في قلبين، يطيران على طائرة ورقيَّة.

في صندوق تحسبه الدنيا من الحب ولا يأتي الـ"عو"!

في غرفتي قطعت الأشجار وأشعلت النيران وأذَّنتُ الفجر وصلَّيت، وقرأت الشعر على صوت الأمواج حين أقول أعشقها.

في الغرفة آخر صندوق الدنيا، تجلس تتململ من هذا الماكياج العاجز على تحسين الأحسن، على تجميل الأجمل، تخرج للشرفة وترجع ولا ترجع من تحت قدميها الشرفة.

هذا لقاء قصير جدًّا كي أرويه لخيط الفجر.

وتدق الدنيا طبول الزار، وتدور تدور كما المجانين، فأدوخ في تلك الغرفة في أول صندوق الدنيا، يسقط فنجان الشاي وتتزلزل أرجاء الغرفة.

في تلك اللحظة حين يقرِّر القمر أن يكتب مذكراته، يخرج من بحر في الغرفة عرائس البحر أفتح فمي من شجن الدهشة، فتملأها بالسكر.

وتعود الغرفة لتهدأ والزار يئن ولا يبقى في الغرفة إلا عرائس بحر النور وقطع السكر.

في آخر شارع ما بعد الحلم قبالة شارع لن يأتي بعد، يجلس رجل ذو شعر أبيض من فرط جماله تحسبه الحب.

أخرج أسأله عن حكمة من حكم الشعر الأبيض في لغة الحب؛ يفتح دفترًا ما لن تقرأه، ويقول "الحكمة كل الحكمة في الغرفة آخر صندوق الدنيا".

تفتح أمي الباب وتأمرني أن أذهب مع ابنة أختي كي نتنزه، فأقوم مفزوعًا وأشاور في الغرفة انصرفوا الآن مخاطبًا عرائس البحر وأقول لأمي سآخذ تلك الطفلة للغرفة آخر صندوق الدنيا.

وما زالت تتعجب من قولي، وعادت تلك الطفلة في تلك الليلة، ولم أعد من الغرفة في آخر صندوق الدنيا.

آدمياتٌ من عيونِ حواءَ

المرأة سجنُ القمر، ومِرآة الشمس وانحناءة مسرحية الربيع لفنّ زهرةٍ.

أتخيلها فرنسيةً، تسألني: ماذا تفضل مع النبيذ؟ أقول لها: وجهك، وقطعة خبزٍ قمرية.

أتخيلها إيطاليّةً، ينحني لها قلبي كـ"برج بيزا" ليجمع أحاسيس مُلقاة في أرض إيطاليا.

أتخيلها عربيةً، عودًا مصلوبًا على خط الرقعة يتمايل كي يرقص طربًا وجنونًا.

المرأة نصف الحبِّ، وربع الدهشة، وكل الجمال، سدرةُ مُنتهى آدم، ووصايا القلب العشرة نسائية، وحواس القلب الخمسة نسائيةٌ، وفصول الحبّ الأربع نسائيةٌ. لم يبق لآدم شجرة تفاح؛ كي يسقط من جنته! فليبق وحيدًا إن شاء.

المرأة نور عيون الأرض، وكحل عيون الليل، ويقظة عين الصباح.

أنا آدم، زهرة عباد الشمس، أنحني للجمال، وللحب، ولحواء، انحناءات ثلاث، كلها لحواء.

أنا آدم، أعترف أمام العالم أجمع، أن الأرض تدور، تدور كي تبحث عن حواء، أن الشمس تدور، تدور كي تُنير طريق حواء، وأن القمر هو سجن الرجال، والسَّجّان دومًا حواء!

أنا آدم، تجتاح كياني امرأة وليالٍ فضِّيَّة، أجمع بينهما في قلبي، فيصير دمي من فصيلة الياسمين!

أنا آدم، ينحتني زماني تمثالًا وتعاويذ؛ كي يرفع عني ستارًا في يوم ما، تمثالًا لرجل على لحم قلبه!

أنا آدم، تسقط كل تفاصيلي، في بحر طباع وصفات أنوثتها، لتعود تفاصيلي كمالًا، وطباعي جمالًا!

أنا آدم، أستلهم وجعي ودموعي ميناءً بحريًّا؛ كي أستقبل سفن الحب بزهرة، وحواء بدمعة مسافر أو عابر سبيل!

أنا آدم، أعترف أنَّ حواء هي ظاهرتي، وهي مستحيل قلبي، ومعجزة مشاعري الأولى، حين يأتي كيوبيد رسولًا بسلامٍ وجمالٍ!

أنا آدم، أنحت ثلج مشاعري كله، بنقطة دماء دافئة من نبض تلمسه امرأة، فيصير الدفء نُزلًا ومُقامًا كريمًا!

أنا آدم، أشرب من كبريائي عصير نساء، وآكل من جنوني إفطار نساء؛ لأصير شهريار، عُمرًا كاملًا، بسيف أنثوي!

أنا آدم، أغزل من أوجاعي قديسات وراهبات، يبحث داخلي عن حواء اللا قدِّيسة؛ ليصير شعوري مجرد حانةٍ، لصراع بين الراهبة وفتاة الليل، لتخرج من بينهما امرأة قلبي!

أنا آدم، أجمع كل تخاريف رجولتي؛ كي أصنع منها حروفًا مبعثرةً، على اسم من أحب، لأقول بالعامية أمام الحبِّ: "ولا سحر ولا شعوذة"!

أنا آدم، أصنع في طواويسي سنينًا؛ كي تأتي غزالة واحدة، فأنخلع من أجنحتي وجذوري!

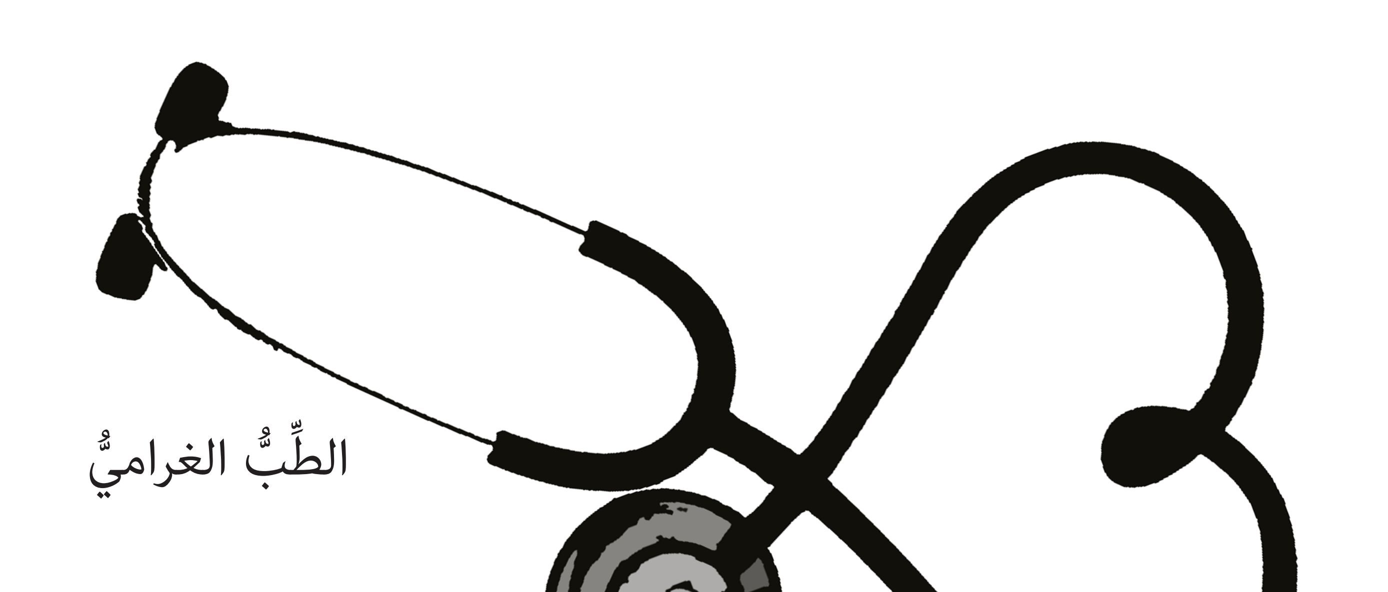
أنا آدم، شعبي هو إحساسي، ومشاعري وقلبي، لا أبحث عن حواء

من عامة شعب قلبي، لكن أبحث لها عن ملك أبدي!

أنا آدم، حرف عطفٍ بين الحبّ وأنا، لا أجد له تشكيلًا مناسبًا، لكني أنتظر مَن تُجيد وضع الماكياج لحروف لُغتي!

أنا آدم، شمسٌ خبأها القمر، وضوءٌ خبأه الظل، وعُمرٌ خبأه الحبُّ، ورجلٌ قتلته حواء!

أنا آدم، أعترف أن للجنة حُورًا، وللأرض حُورًا، وحُور الأرض يحرُسن عرشَ الحُبِّ، كي يصبح الرجال على العرش، وِلدانًا مُخلَّدين.


الطِّبُّ الغراميُّ

في مسرح جريمة عينيك، أحتاج لطب غرامي كي يرفع عنها النبضات، أحتاج لقلم مخمور بالجن وأوراق لا تعرف لغة السطر الأخير.

عباد الشمس، قلبي، زهرة لا تدرك إلا حقيقة شمس وجودك.

أحتاج لأن أصبح معجزةً مثلَكِ، لكني وسامحيني، لا أعرف كيف أصفق كي تشرق شمس ويبيض وجه القمر، لا أعرف مثلكِ أن أفرش شعري كسجاد أحمر لاستقبال أحلام الزهر، ولا أعرف أن تصبح لي عينان بقوة المصير وبرقَّة العنبر.

فراشتي الأحلى: أشتاق لأن أصبح رجلًا موزونًا مقفى، وأمامك أسقط، أتبعثر كحروف تلقط آخر أنفاسها فوق خطواتك، أن تطير أميرة همساتك فوق بساط القلب فيصبح مملكة عاجية، لا تأتي كما يأتي الصبح، أحتاجك صبحًا خاصًا يترقرق نوره كما الدمع ويستنشق فجره من إشراقة خجلك.

لا تغيبي كما يغيب الليل، أحتاج رحيلك عنِّي كما الرقية فنهاية كلمة بداية إحساس، ورحيل الكلمة سفر في جسدي ليخرج من فمي رغاء العشق وقتلى جمالك، حين أستيقظ صبِّي على وجهي حناء تقلَّبت في شعرك تقلب الليل والنهار، أمطري فوق جبيني كلمات سحريةً؛ ليُنشق جبيني بكلمة سرِّك لتصيري في عقلي وقلبي، جمليني بنفسي واعشقيني لنفسي وأحبي صفاتي وتغني في حياتي واستتري في عيوبي وبرِّئي ذنوبي.

أحتاجك، أحتاجك جدًّا.

مغترب في حجرة عقدي ولمن أشكو صمم الجدران وأنا أول من لا يسمعها، مختصر جدًّا في بقايا رحيلك ومداد حروفك بقوة حرفين، معصور بمشانق السحاب ومنصة الأرض وما أصعب أن يكون إعدامي بين سماء لا تحضنني وأرض لا تبكي رحيلي، مقتول ومسرح الجريمة لا يحتضن المشهد كاملًا، فالقاتلة بريئة، والسكين بريء، ولون الليل بريء، وصمم الجدران بريء.

من أذنب؟

قلبي؟

في ساعة ما، من يوم ما، ولقدر ما.

أحاسيس لا تشربُ الفانيليا

لستُ مجنونًا، لا تعرف كيف تشاهدني، لكني لست بمجنونٍ.

حين رأيتني أول مرةٍ كنت أنفخ في يدي، كانت العصافير تغرق في دمائي، قبلتي لهم للحياة، كان المشهد إنسانًا ينفخ في يديه بلا معنى.

حين رأيتني المرَّة الثانية كنت أنحني وأنا أنظر إلى نفسي في المرآة، حبيبتي تترامى على المرآة، ندى زهورٍ وأنفاس صبحٍ، كان المشهد أنّي مُختلٌّ عاشق نفسه.

حين رأيتني المرّة الثالثة، أقبِّل حائط غرفتي؛ لأن صورتها كانت هناك يومًا ما، اعتبرته حائط مبكاي ودموعي، فكان المشهد معزولًا عاشقًا للعُزلة.

حين رأيتني المرَّة الرابعة كنت أشرب الفانيليا، وأوشوش شرايين يدي، شراييني تريد تذوق طعم الفانيليا، أوشوشها أن يكفيها طعم فانيليا الحب، فكان المشهد عاشق كل جزء في جسده، لكن المشاعر لا تشرب الفانيليا.

حين رأيتني المرَّة الخامسة، آكل القلم، ويفيض من فمي حبر، أحاول أن أفهم سِحر الأقلام ولُغة الأشعار ونبض الورق، فكان المشهد: مجنون يأكل ما يجده تحت يديه.

حين رأيتني المرَّة السادسة، أجري في الشارع غريبًا منفيًّا، أربع

ملائكة يطاردنني بنعش مكتوب عليه "الحب الهارب منهم"، فكان المشهد أنّي جبان يهرب، حتى من نفسه.

وفي المرَّة السابعة، كنت أشم بشهوة رائحة همساتي حين تحدثت عنها منفردًا، فكان المشهد أنّي أشتهي الأجساد بجنون.

وفي المرَّة الثامنة، أمشِّط شعر الليل كحوّاء تجلس بين يدي، وأُحاكيها بقصص الحبِّ، وجدتُني أمشط للأوهام.

وفي المرَّة التاسعة، والعاشرة، والحادية عشرة، رأيتني أرقص في غرفتي، ليس جنونًا، أُراقص ضوء شموعي، أنطفئ أحيانًا، وأتوهَّج أحيانًا في رقصتي، أحاول أن أسمع عزف القيثارة، وأناشيد مجانين الليل ودراويش الحُبِّ.

أحاول أن أخرج من حواء رجلًا يتساقط من عينيه الشهد، حين يمتلئ بالجمال، وأحاول أن أخرج منها واقعًا مستحيلًا، أو مستحيلًا على أرض الواقع، أن ألتهم حماقاتي في كأسَيْ نبيذٍ، أن تمتلئ عيوني بسنابل عشقٍ، وتمتلئ مشاعري بآهات القادم.

فلا تظنني مجنونًا يا حضرة الكيوبيد، أنا فقط أطير مثلك، لكن على أرض فاض بها الحبُّ، وليس في سماءٍ تملؤها سهامك.

طفلتي العزيزة فلانة

نبضي مع وقف التنفيذ يدقُّ قلوب بريئة جدًّا كأمنيات المطر، وأحلام الربيع، وأنا أمسك بالمصباح على جبهتها كالقديس.

طفلة صغيرة لم تتعدَ الثالثة من العمر ولكن تتغنى جمالًا وإن جرحت تنزف شعرًا، كنت أغرد بين جناحيها وأتَّكئ على سُرر مرفوعة في عينيها، كالطفل أُلاعب رمش العين وأبتسم قليلًا وما ألبث أن أبكي كثيرًا.

طفلتي العزيزة فلانة

إن قدرني الله أوصي ولا أنسى حروفًا قد تسعد أو تحرق أجنحة الشمس.

اليوم طفولتك الغراء تعيد في قلبي أعياد ميلاد ومواويل للفرح وأبياتًا للبسمة، حين يعد العمر عليك عشرين سنة، فردي الباب عليه وعودي للعام الثالث، نامي في مهد براءتك ولا تنسي ولا تقسي، فالله في مهدك والشيطان يركض خلف الباب، وكيوبيد يشرب في بار قرارك، أي خيار!

إن عشق عيونك رجل ردي عليه العشق؛ كي لا تغتالي القمر وتلطخي يديك بنور الوحدة، سترين الوحدة نورًا وهي أمل مكسور، أو حزن ضلَّ طريقه فاخترتِ له عنوانًا.

أعزُّ أبناء الوقت لحظة حبٍّ، فكوني اللحظة ليلهمك الوقت سنابل ومكحلة وجود، إن قال أحبك، طلي من شرفة عينيه، وزوري الدنيا فإن

فتنت فيكِ رحلات عيونكِ، كوني طريقه ورحلته، طلي كفردوس أبيض في مقلته، وطيري كعصفور ملهوف للعش وبردان والدفء أمان، لا تكوني رحيلًا، ما أقسى الأنثى حين تشكل بأظافرها الكون رحيلًا، حين تقاتل ياسمين العشق بسيف وهمي، حين تترنح في عينيها الحقيقة، فتشرب كأس فارس الأوهام؛ ليموت فارس الأحلام؛ لتطل على خديها الشمس بلغة أخرى، غروب ونحيب، وتقول ويحي ماذا فعلت، لماذا قرأت الشعر شعوذة وخرافات، لماذا رميت كعبة عشق بحجر وقبلت عنادي من شفتيه، لماذا أسير كطاووس والأرض تكره ألواني؟

عن ماذا غفلت، عن الحب؟

لماذا فرشت الصحراء بفستاني لأستقبل كل سراب عابر سبيل؟

غبية، أشتاق لسكين يقتلني ويطهرني من حماقتي.

صدقني غبية.

فجأة تسألني الطفلة ببراءة "إنتَ بتكلم نفسك؟".

فخرجت من الغرفة وتركت يديَّ تربت فوق شعرها لعلها تنام.

لعلها تظل ملاكًا، ويبقى الحال كما هو عليه.

أترهبنُ في لحم الحُبِّ

أترهبن في لحم الحُبِّ شعوبًا وقبائل، كي أُرزَق وأقتات اللون الأحمر من خجل العشَّاق، كي أحكم على نفسي بـ"أشغال عشقية شاقَّة"، بلا محكمةٍ أو قاضٍ سوى نفسي!

أحيانًا أدخل جنتي وأعتذر من الحُور، إذ لم أستلهم منهن رجلًا له يقين العاشق، وكُنية العشَّاق، وقُبلة شفاه عذراء، فأنا أستنجد بالحُبِّ من الرغبة، وأفضِّل رجل الحبِّ، عن ذكر الحور!

على سريري أجدُ عود القمح بجانب حقل الألغام، وحُلم الوسائد يُصافح ما يختمر في فكري من اليأس، وسلطان النوم يحكي لقلبي ما سأفعله كل صباح، لا أفعل إلا الحبَّ، ولا أستجدي إلا الحبَّ!

لا أجدُ الحبَّ قصورًا ودواوين شعريةً وقِطعًا من نثرٍ ذهبيٍّ، بل بلُّورة حُلمٍ وساحرة قلوبٍ، وحوارُ وسيطٍ رُوحانيٍّ مع الزهر ورائحة الفلِّ، مساحات للتصوُّف الكامل في حضرة مقام العُشَّاق، وأجد في الحبِّ ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سَمِعَت، ولا خطرَ على قلب بشر!

أدخل عالمي الخاص تحت عيون وأجنحة الليل، أحاول أن أشكِّل عبارة قلبي هبة الليل ساعات ودقائق، لأدخل بذاتي، كأيِّ عاشقٍ، عالم الجمال، بدلًا من أن أشاهد جمال العالم فقط!

أتحول أحيانًا فرضياتٍ واعتباراتٍ وهميةً.

أنا نصفُ حقيقةٍ في عيون الحُبِّ لحين صدور الفرمان الأول من عينيها، لتصير نصف حقيقتي، نصف حقيقتها، ويصير النصفان مشهد خروج امرأةٍ من ضلع رجلٍ.

أجمِّلُ تحت عيون الأوهام جفونًا سوداء، لأحظى من سهر الأوهام وأرقها ببعضِ الحُلم، وكوبٍ من يأس يسكر، أشرب أشرب أشرب، حتى يضع الوهم بنفسه ماكياجه الخاص، لكن حين ينظر للمرآة آسفًا يجد صورتي!

قلبي لا يتحاور إلا بلغة سندريلا، يفقد حذاءه كل منتصف ليلٍ، سندريلا لم تفقد فقط حذاءها تلك الليلة، بل كبرياءها وفرحتها، وكذلك قلبي لم يفقد فقط حبيبةً، بل حياةً وآدميةً!

أحيانًا أفكر كيف أفعل الأسوأ لأحصل على الأفضل، لكن في الحُبِّ عرفت، أحزنها كي أشرب من دمعها بركاتٍ وترانيم في دمائي، أُمسك ذراعها حتى تصرخ في أذني موسيقى فيولين الصرخة، أقبِّلها حتى تستنجد بكيوبيد ليضربني بسهم يُفيقُني، وهكذا فعلت الأسوأ وحصلت على الأفضل في العشق!

تنظر لعيوني، أتفكَّك أطفالًا وشبابًا وعجائز، أطفالًا تلهو على رمشها، وشبابًا ولُغة مراهقين واهية تسبح في يديها، وعجائز يقرأون التعاويذ من الجميلات، أن يحضُرنَ!

أحيانًا أُطارح الغرام الغرام، ليصبح العشق سيدة منزلي.

وأصبح أنا روتين العشق اليومي، ونُقيم حفل زواجنا في عيونها، على طبول الغيرة وعزف حُمرة غضبها!

قلبي مساحات خضراء واسعةٌ، وجبالٌ شاهقةٌ، جبالٌ ورقيةٌ لا تحتمل النفخة، إلا الغرور، هو لا يتحرك من نفخة كاذبة!

لا أعرف ديانتي، فلي مسجدٌ، ولي في الوقت نفسه ثالوثٌ مُقدَّسٌ، الحبُّ والعشقُ والغرامُ، ولي قِبلةٌ، ولي قُبلةٌ ممنوعةٌ، ولي عيناها جنةٌ ونارٌ.

حاول معي... من أنا!

في يومٍ قالت لي "موعدنا الثلاثاء"، قبَّلت عقارب الساعة قُبلتي المسمومة، وما زال الوقت يقف حتى الآن من يومها كي أستعد!

شكرًا للحُبِّ، شكرًا لعينيها، التي تجعلني أجمع حزني في سلَّة تفاحٍ، لأرميها على الفرح كما الأطفال، إلى أن يأتي الفرح ويقرصني من أذني، فيكون العقاب الجميل.

كحل وجودك

ولعلّي أكون، إطلالة من شرفة عينيك لإكسير الحسن، من يمنع عني شمسي وقمري إلا عيونك، لا مانع عندي.

ولعلّي أكون، ياسمينة حب في يديك هربت من آخر ربيع لأول ربيع، واحترقت في أغنية شتائك.

ولعلّي أكون، قلمًا في يديك، يكتب رغمًا عنك غزلًا، أو يرسم سحرًا أسود في الورقة، ليرد على السحر الأبيض.

ولعلّي أكون، مكحلة، تتزينين بكحلي، وأتزين من كحل وجودك.

ولعلّي أكون، ملاكًا، لم يحمل غيرك فوق جناحيه؛ كي يصنع منك قرص الشمس الضائع في لحظات كسوف.

ولعلّي أكون، سنة نثرية، سقطت من كل حسابات العمر فلم ينظر خلفه ليراني أُملم كلمات.

ولعلّي أكون، عصفورًا شرب في يوم من بحر جمالك، هجر حياة الترحال؛ ليسكن الرحيل شخصيًا، عينيك.

ولعلَّي أكون، قمرًا يتمنى أن يخرج من فضته لا لذهب الشمس ولكن ذهب يديك.

شعوذة وجنون، ضرب من قلب خيال، أن أكتب عنك، ولكن كيوبيد الساذج يأمرني؛ لأنه لا يرى عينيك في كل مساء مثلي.

في عينيك الحبيبة

لا تُعاتبيني إن أفرطت في حُبِّكِ يومًا، فأنا لا أعشق على طريقة الحبِّ، بل جعلت الحبَّ يسري بين القلوب، على طريقتي!

أُعطي ملامحي الفرصة الكاملة لمصافحة الروعة في عينيك، أُعطي عيوني الفرصة الكاملة لملامسة الدهشة منكِ، وأعطي قلبي الفرصة ليستَنشقُكِ، كقُبلة حياته الأخيرة!

دعيني أمرُّ على طباعك رجلًا بحصان وسيف وورود، فأقطع من أشجارك بعض الأزهار، لأُزَيِّن بها شيئًا في نفسي، وأمرُّ على أنثاك طفلًا بحصان خشبي؛ لآخذ منها الرقصة الأولى لحصاني، والابتسامة الأولى لقلبي!

لا تُعاتبيني إن قَبَّلتُكِ بلا استئذان، فأنا تدفعني الرهبة في صدري، وفضول لتذوق فلسفة القُبلة الأولى، وإصرار على قص شريط الحب الأول!

لا تنعتيني بـ"وطنك الأول"، فأنا تنقصني الشرعية دون عينيك، ينقصني الكيان دون همسك، ينقصني السلام، إذا أحببتك، وبقيت أسيرًا للحبِّ، فأين هو الوطن؟

لا تعاتبيني إذ لملمت دموعي من كل حديقة، هو ليس بدمعي هو دمع الزهر صديقي، لا تغيري من الزهر أبدًا، فإذا كان هو كاتم السر، فأنتِ السرُّ ذاتُه!

لا تصبحي جزءًا منّي، بل تأصلي في تفاصيل أجزاء جسدي، تعدَّدي في مواضيعي ومناقشاتي، تغيَّري في ما أقول بعدد حروف اللغة، وما للكلمة من ألف معنى!

لا تشعري بالغيرة بل اشعري بالغرور، فأنتِ امرأة فطمت مسودة الأوراق عن الخطأ، ونزعت تباهي القمر بعينيها، وتحنطت على يديها مخيلة الأنوثة، فالغيرة تكون منكِ، والغرور لابد أن يعود إليكِ.

لا تجعليني أستفيق من نومي إلا على عينيكِ، فإن كان النوم يأخذني إلى عالم الأحلام، عينيكِ هي عَصايَ السحرية لجعل الواقع حلمًا، وصوتك هو أول همسة للقمر في جلسته لتنويم القلب مغناطيسيًا!

دعيني في لحظات صمتكِ منتظرًا للكلمات، وفي لحظات كلامكِ منتظرًا للصمت والخجل.

في لحظات بكائكِ أنتظر بشارة أول ابتسامة، وفي لحظات جفائكِ أنتظر أول بشارة اهتمام. دعيني ودعيني ودعيني، أنتظر منكِ كل شيء، وأنتظركِ في كل شيء!

دللي همهمتي كالفتاة، واصبري على أنيني كالأم.

اركضي على مشاعري كالطفلة، تحدثي مع قلبي كالصديقة، حينها أجد في عينيك الحبيبة!

أبدًا لا تعاتبيني، وإن كان العتاب بين العشاق بنكهة الجمال، اجعلي عتابنا لا يكتمل؛ كي أنتظر دائمًا، لحظة اكتمال الجمال بيننا.



ولحوار الشمس بقية

هو: مات القرنفل ها هنا لم يجد من عينيك حصنًا أو رقيةً شرعيةً.

هي: لكني عودت نفسي على حياة الياسمين بصدري حين أراك فلم يهزمني المشهد بل كنت أقسى عيدان القرنفل من قاتل له.

حين أراك تغتر شراييني وتفتخر بكونها جزءًا من هذا العاشق، وتصير فصول رجولتي الأربعة حوارًا شعريًّا خالصًا بين الشمس والقمر.

حين أراك تسقط كل ضفائر شعري حبلى بأمنياتي، وتهاجر في حنجرتي بلابل وحمام زاجل محمل برسائل عشق من طيب كلامك عني.

ضميني الآن كي أشرب كأس أنثاك؛ ليعيش الرجل بداخلي حبسًا انفراديًا مع الكأس ولا يسكر.

هل تسمع قلبي؟

- بل أبصره بغمضة عين، وأسمعه برُوحي، وأحيا النبضة فيه على صدري حين يقبل نبضك نبضي.

- أتعدني بالجنة؟

- بل أعد الجنة بعينيك؛ كي لا تستسلم كل ملامحها لماكياج التفاح وحناء النهر الخمري، وتستبدل كل أدوات التجميل بأرض اللوز لاستقبال جمال فاض على الأرض.

- كلامك يبهرني.

- أنا لا يبهرني إلا حسنك، أقسم لو سقطت فوق الفستان الآن نقطة حبر، تتشكل أبياتًا وقوافي، وكأن كل البلاد قصيدة، تكتب من عينيك.

- تعشقني أكثر منِّي.

- كداء غرور، أنا أعشق نفسي ولكن أنتِ حياتي ونفسي فكلَّما عشقتني عشقتك، ولو نظرت للمرآة رأيتك، أنا لا أتجمل في كل صباح ولكن أجملك.

- وما زلت جميلة بعينيك؟

- عيونك مرآتي، تجعلني أميرًا أو ملكًا إغريقيًا، وتخدِّر فيَّ الموت ليستفيق الحب المميت، فكيف تسأل المرأة عيون صاحبها، أنا الأجمل في عينيك.

- أنا أحيا بوجودك.

- ووجودي في حياتك قطعة مرمر أينما نزلت باركت كمطر من طيب على أرض حبلى بالأمنيات، وأنا ساحر شرقي أسحرهم بحكايات جمالك ولا أعدهم بالنظرة.

- أنا وأنت والله والحب أربعة على شرفة حب لا تهدأ أبدًا، قمرية وشمسية لو تحصي حروف اسمينا.

- أحزنتِ أربعة أشخاص الآن.

- (في خجل أنثوي جميل) من؟

- الشعر على طرف أنفاسي يسعده نحيبه ويقدِّمه بشرف كي يحظى بقافية من عينيك، والنثر المر على طرف لساني يختلس النظرات لفمك

كي ينساب في أوصالي كقبلة ويقترف على خديك آثامه، والقلب النائم بين شفاهك يسكر من عذب رنين اللفظة، وكيوبيد يغني لكل العشاق ويستسلم فوق أصابعك ليدق طبول الحرب على قلبي، فنحن ستة ومعنا الله ضيوف في حضرة حسنك.

- تمسك أصابعي في رقة.

وحديثي الآن يطول، سندريلا الأنثى ترقص رقصتها الآن على بطولات الأمير، من الأقوى؟

كان الله في عون الأمير، تعود أن يحرِّر المدن، وجاءت امرأة تحرِّره من العالم.

لا أحدَ سيقرأُ فنجانَك

لا أحد سيقرأ فنجانك؛ لأنك تجلس وحدك في نصفه وتحجب عنّا الرؤيا، لا أحد سيسمع منك حديثك؛ لأن حديث الأرواح أعذب من همس الشفاه وأطيب، ورُوحك تغرق في الفنجان كما قطعة سكر، لكن لا تغيِّر لون القهوة السوداء!

لا تجعل من عشقك داءك، فإن مرضت به، خبِّئ عن كل الناس مرضَك ولا تنسَ وصية قلبك، إن ظهر عليك ذات يوم دون قصد منك، فستظهر حكمته، كما الشَّعر الأبيض في خصلة شعر وجودك.

لا تجعل من عشقك استثناءً لأيامك، بل اجعل يومك دون عشق هو الاستثناء الذي تخجل منه.

لا تجعل من حبِّك رجلًا تكتب عنه ولا تخلقه بداخلك كهدية لامرأة تعشقها، واجعله حلمًا يستفيق على عينيها؛ لتلبس أحاسيسك لون الأنثى وفساتين السهرة!

اجعل أحلامك ظلًّا له وزن، بدلًا من أن تكون وزنًا بلا ظل يحميك ويستر عن رأسك.

اجعل من أمنياتك آياتك المنجنيات من عذاب الحبِّ وغدر القلوب.

اعتلِ قمة قلبك وشاهد الدنيا برداء الحب الأبيض، حينها سيكون القمر كقرص مخدر أبيض للحظة!

لا أحد سيقرأ فنجانك، حاول أن تتخير جانبًا آخر منه؛ كي أقرأ

تفاصيل مقعدك وطاولتك التي جلست عليها.

لن تعشق إلا إذا شعرت بها تنادي لكل رقيق، فراشة، نسمة، همسة، وإنها لا تنادي إلا عليك.

فأنت كما رؤيتك للحب، من يرى الحب كباقات الورود، سيرى الدنيا حدائق وديوان قصائد، ومن يرى الحب كعنقود أحلام، سيرى الدنيا حلمه الأجمل وأمنيته الغالية.

أما من يرى الحب لحظة ستمر، سيرى الدنيا قصرًا وهميًا، وسائده السحاب وهديته السراب.

اجعل من قلبك حجابًا مكشوفًا، يرى الدنيا بلحظات قبل عيونك، إن رأيت الدنيا بقلبك بلحظات تسبق عينيك، رأيت السعادة بلحظات تسبق العناء، ورأيت الأمل بلحظات تسبق الشقاء.

لا تحاول أن تسبق منديلك الممدود إلى عينيك ليمسح دمعك، اتركه يقرر مصير دموعك، فإن قرَّر أن يتركها على خدك اعتبرها حكمته، لا تناقشه، أحيانًا الدمعة على الخد تستر ما يكتبه الجبين كقدر وما يكتبه القلب وما سطَّر.

اجعل من عيون حبيبتك مسرحًا لحياتك تمارس فيه جميع الأدوار المشروعة والغريبة!

أو لوحة تزخرفها بكل الألوان الممنوعة والأشكال المجنونة، وطقوس السحر.

حاذر من سلطان القلب على جسدك، لكن لا تجعل من جسدك أبقى.

القلب هو شجرة التفاح الممطرة على دمك، وتفاحة واحدة محرمة،

ستجدها في يوم ما!

خذ من المطر عاطفته، لا قوته وجرأته، ومن الشمس إمامًا لصلاة حياة وحنين، ومن القمر ضميرًا أبيض ونبضًا حالمًا!

شكل من غَدك ألعاب محاربين طفولية، كما ألعاب الورق؛ لتحارب بهم اليأس وتجريد الذات، واصنع من أفكارك أطواق زهور؛ كي تهنأ بسلام في يوم ما بعد الحرب الورقية!

إن أحببت فقل لحبيبتك بصوت عالٍ "استتري في دمائي فاليوم صقيع، ورشي الماء على صدري؛ كي أستشعر دخان النبض ورائحة الأحلام المحترقة، وتعالي على نبضاتي وذليها؛ كي أشهر ضعفي أمامك، فتصير التهمة الأبدية شروع في حبٍّ".

لا تعانق نفسك أبدًا ولا تخجل منها، اجعل من عيون الناس المستضعفة لك أحيانًا مرايا ترى فيها نفسك. في تلك العين تمشط شعرك، وفي تلك تعدل هندامك، وفي تلك تصير الأقوى.

فاستغل ما يستضعفونك به، لتستقوي نفسك فيه! وإن أردت التجمل، فحاول أن تتجمل من ذاتك لتجمل ذاتَك، لا تجمل الصورةَ، فالصورةُ لا تخلق واقعًا.

لا أحد سيقرأ فنجانَك، إلا أنت، فالعرافات الحقيقيات أساطير وأوهام!

في أصابعك أشتمَّ رائحة البن القوية من الفنجان، فلا تخف إن مصمصت أصابعك أن ذلك يأكل من شيء مكتوب لك، لا تضحك عرافتك عليك، إن كانت موجودة!

كل من يحبُّ يحاول أن يحدق في عيون الملائكة التي لا يراها، لكن لا تحدق أكثر؛ كيلا يقتبسوا من عينيك الحبَّ، ويقتبسوا من صدرك

نبضًا يجعلهم نصف مَلاك ويجعلك نصف بشر!

استتر في الدنيا بثلاثة حرائق، نارها بردًا وسلامًا، حبيبة تجلس القرفصاء على قلبك وتحضر قهوتها على غليان دمائك، قلم يكتب ما تشعره ويحرق في الأوراق مشاعرك وأحاسيسك، وصديق يهدِّئ فيك النار ويشعل فيك جذوة الصداقة الأبدية.

استلهم من صمتك صوت الحبِّ، وطيور الجنة الخفية التي تطير في غرفتك الصماء، واسمع في صمتك أصواتًا لم تتخيلها لو كنت عشقت!

استدعِ جنونَك في لحظات تعقلك وتأملك؛ لأن جنونك لو شهد على الجلسة؛ سيصير حتى جنونك، متأملًا في الدنيا وفي الحبِّ!

بارك لمن عشق وتبارك من يده ومن نظراته المكسورة، ومن خطوته الضعيفة وكلماته الواثبة، اخطف من كسرته أميرة على جوادك واهرب في خيال الحبِّ؛ لتقابل أميرتك أنت هناك.

هذا علاج الحب بالحبِّ!

لا تجعل من النساء شكلًا جميلًا وعيونًا رقيقةً، بل اجعل من جمالها فلسفتك، ومن صوتها أمسيّاتك الوحيدة، ومن براءتها طفولتك الجديدة، ومن خاتمها وحلقها ألعاب طفولتك تلك!

لا تتوهم صوت ضميرك هو لا يتحدَّث، لكن أحيانًا تراه في نفسك التائهة أو رُوحك المسلوبة، فحدثه وهمًا، وانظر إليه حقيقة ووجودًا، لا تهرب منه أبدًا، هو لا يعرف عن الحبِّ إلا أنت!

حين تعشق خذ من علامات وتفاصيل وجهك سجادةً مفروشةً إلى الحبِّ، وألقِ على السجادة أزهارًا من عرق حواسك، وياسمينًا وبنفسجًا من شهقتك المرتعشة من الخوف، فذلك استقبال الحب الأجمل!

ولا تتحدث كثيرًا عن الجمال ولكن ادفنه بداخلك؛ كي يصبح مثل تنفسك حدثًا لحظيًا، لا شيئًا خارقًا، فالجمال له منطقه الخاص وفكره الخاص، إن افتتنت به أصبح سيدك، وإن جعلته واقعًا لك أصبحت له صديقًا ومخلصًا!

قصيدة قلبك أنثى، فلا تنطق في الحب إلا شعرًا، ولا تهمس في أذن قلبك إلا لغات العشق، ولا ترقص مع إحساسك إلا في حضرة موسيقى أنوثتها!

خطوط واهية جدًّا بين الواقع والحلم تسمى حياتك، فإن أسرفت في أحد الطرفين؛ ستتمزق تلك الخيوط، فحاول أن توازن.

لا تصح في وجه طيور النورس على معصمك، فهي لا توجد إلا لأنها تشعر أن وريدك ميناء للحبِّ، ومهد لعشق قادم، والنورس عشقه الأبدي ميناء.

استسلم للحبِّ، فهي ليست حربًا معلنةً بينكما، فالحب المنتصر بدون إعلان للحرب وبدون الهدنة المطلوبة من قلبك، فخيارك الوحيد في الحب السلام، وعلى الحب السلام!

لو ذاب السراب داخل صدرك، فتخيل الوهم كحقيقة، أو تخيل الوهم امرأةً، حينها يصبح سرابك، حقيقة امرأة!

اعتلِ النسيم ولا تستنشقه؛ كي تصبح طائرًا خفيفًا يطير على جناحيه، فتمر به على عذوبة النهر وملح البحر، فتصبح أيامك يومًا عذبًا وآخر كالبحر، بفعل النسيم!

لا تُحدِّث قلمك أبدًا أثناء كتابته، فالآن فكره مستقل، وسنه مستقل، وحديثه مع الأوراق سرٌّ له، وإن كان سرًّا منك أنت،أنتم الآن شخصان مختلفان، لكن بينكما توارد أفكار.

حياتك بين حدائق مزهرة فوق جبال عالية، الجمال ستجده في صوت طير أو دغدغة هواء بارد، والفرحة ستجدها في طفلة تلهو أو زنبقة تتهاوى، والحب ستجده، كصدى صوت الحياة بين الجبال!

أحيانًا لا نفرق بين صوت الضحك والأنين المكتوم، حتى الوجه لا يفرق بينهما أحيانًا، ولكن فقط من يرى القلوب لا العيون سيعرف، وهم قليلون.

لا تذهب للنوم إلا إذا طلب منك الحلم ذلك، ولا تشرب من كأس إلا إذا كانت تشعر بشفاهك، وظمئك، لا تذهب للحب إلا إذا كان ينادي عليك.

الإحساس ليس حرف نداء، ولكنه دائمًا مناد! حاول جاهدًا أن تقرأ فنجانك، مرة أخيرة. أو بدِّله بفنجان آخر. وقدر آخر!


مَن أنتِ؟

من أنتِ على شرياني؟ ما بين النبضة والنبضة أحسُّك وجعًا، أشتاقك حبسًا معزولًا جدًّا وانفراديًّا بمساحة ما يملأه الله، سجنًا بمساحة هذا العالم كي نركض والغزلان بين القضبان الماسية، ونعمِّر شطآن الحب قصورًا رمالًا لا وهمية، من أنتِ هناك على قلبي؟

قيلولة وجعي تبقى بك ساعة ولكن حبي هو اليقظة.

ما أجمل أن تنعس كل حقائق هذا الكون على شفتين، حين النطق يكون كينونة عالم، يا أسيرة روعتها تعالي لأشطرك بيتين، فأنت الشعر وأجمل من هذيان النثر على سن القلم العاشق، تعالي لأكتبك رسالة حب لله ولكن أين ملائكتي فبريد الله مغلف بملائكة بيضاء وحور، لكن أنتِ رسالة استثنائية بملائكة وفراديس وأكثر من هذا أنتِ.

أهذا الدمع أم مرآة سائلة تعكس وجه الخلد على صفحات الجنة؟

سالت تلك الدمعة على هذا الخدِّ الشرقيِّ؛ لتنقِّب عن لغة الرحمة في صدري، وأنقِّب عن معنى الحبِّ في عقلي.

العين تهمهم تتحدَّث لجدار لا يتمنى في تلك اللحظة أن يسخطه الله مرآة؛ كي لا تنطبع عليه تلك الغربة ما بين الرمش والعين، يتمنى الزمن أن يتدبر أمره ويمرِّر تلك اللحظة والمكان أن يصبح كلَّه صحراء يتدثر مطرًا؛ كي لا تقتله الدمعة.

لا أرى الأشياء بوضوح؛ لأني أراك كل الأشياء وأكثر.

العين تحدِّثني وتحدِّث كل خلاياي بأن المطر القادم صعب، غيبوبة أعصابي تبشر بالدمعة الأولى لا شيء يشبهني الآن، جميل جدًّا كالأطفال مثاليٌّ الفطرة عاطفي حد الصدمة لا شيء يشبهني الآن، ولا شيء يشبه تلك الدمعة.

تدمع أمسح خدي نتوحد كي لا يفصلنا الدمع، تشرب كل شياطيني من ترياق عذوبتها فيصير الشر عذوبةً، والغضب نعومةً والرجل الهادر بي مجردَ لحظةٍ، لم أشعر أني أشهد نهاية العالم ولكن العالم أجمع يشهد نهايتي.

تنقلب القاعة هذا المشهد لا يمكن تكراره لو أتقنت فنون الكذب ولغة التمثيل لا يمكن أن أصبح أطهر لا يمكن أن أضيف صفة واحدة لصفاتي الآن، لم أصبح إنسانًا آخر لكني مجرد غيري.

من أنتم؟

أنتم باقةُ أقلام، والأرض بساطٌ أبيض له شبقُ الشِّعر، اغرس قلمك وأطفئ هذا الشِّعر سجينك، أنا لا أشعركم حيث وُجِدتُم أنا لا أشعرُ إلا الدَّمعة والله، أشعره، يشعرني.

حدث في مثل هذا اليوم.

رجل في مكان ما في زمان ما ترنح بين الإنسان وصفات الجن للحظة ضرب الأرض نيرانًا ثم استنسخ من ذاته أجنحة ملاك!

امرأة في مكان ما يشبه سابقه وزمان ما يشبهه تبكي على أعصابي تتوحَّد وتوحِّد لغة النسوة بكيان رجولي ليخلق قصة من مسخ رجولتي وسلسبيلها تسمى الجميلة والوحش.

حدث في مثل هذا اليوم.

خلل في نفسي شظايا دماء في بركان قلبي قاتل وجحيم تحت وسادة وأداري أوراقي أتدرون لماذا؟

اعتقدت نفسي اخترعت الحب حين اخترعتني.

حورية خرجت من عينيك

تعالي نهامس غزل الليل بحديث ورود من شفتيك؛ لنعانق جرأتنا بلون الحمرة الخجلية في خديك، فيصير الخجل جريئًا، والجرأة على استحياء!

تعالي لنلعب كل الألعاب الطفولية بلون الحب، اختبئي بين الزهر كي أبحث عنكِ، لكن لن تجدي اللعبة فلن أعرف فرقًا بين الزهر وبين جبينك! أو اجعليني أجري خلفك في حديقة في الجنَّة، لكن لن تجدي اللعبة فلن أعرف فرقًا بينكِ وبين الحلم الذي أجري وراءه منذ سنين! أو أغمضي عيوني بغطاء رأسكِ واجعليني أبحث عنك، ولكن لن تجدي اللعبة، فلن أعرف فرقًا بين ما أراه وبين خيالي الذي كنتِ دائمًا فيه! أو دوخي بين نساء الأرض واجعليني أعرفك من عطرك بينهن، لكن لن تجدي اللعبة، سيقودني عطرك لمكان واحد، فقط للجنة!

لن تجدي الألعاب الطفولية لتفسر عاطفة تحتاج لنقش وخلود، تعالي نصوغ آفاقًا أخرى وسماءً أخرى وأرضًا أخرى منك.

أرض كسراب يتآكل؛ كي يصبح على شكل نون النسوة، وسماء تصفو؛ كي تصبح على شكل حورية خرجت من عينيك!

دعيني أبارك منكِ صفاتي، فأغسلها بثلج الحب وبردك، وأصبغ كل دقيقة من عمري بلون أنينك، وأحضن لغة الأرقام في عمري بلغة الحروف الوردية في اسمك، فيصير عمري اسمًا وكنيتي عدد سنين عمرك أنتِ!

دعيني أكون الرجل الأوحد في حلم أنوثتك الأجمل، وأزاحم في شرايينك كل قصور النور بابتسامة وزهرة سحرية، وأداعب نسمة رُوحك بعبيرٍ من نظرة عينيك؛ لأكون رجل حلمك الأول، وأنتِ أنثى حلمي وفراشته!

خبئيني في بعض من قلقك في ساعة ليل، في كلمة كتبتها في ورقة سرية تحت وسادتك في منتصف الليل، في سطر فكرتِ فيه لبضع دقائق عني، أو تنهيدة حب في بعض حكايات البنات عن حبي لكِ!

دعيني أمشط شعر المساء وأتركه للأحلام ليتركنا معًا وينام، وأكون على غمزة خديك بلون البسمة في شوارع الخجل، ودعي لهفتي تراقص اهتمامك؛ لنترك على ساحة الرقص حبًا بين اللهفة والاهتمام!

واتركي يديك بين يديّ في ساعة المطر؛ كيلا يجمع أيادينا بضع خواتم فقط، بل مطر ونسيم وصخب الشارع؛ أي تجمع أيادينا الحياة.

إن ناديتك لا تلتفتي إليَّ، دعي ندائي يجري بين أذنيكِ كحدث عادي، فأحيانًا الشعور بـ"اللاستثنائية" يمنح العاشق صفة المميز!

واتركيني أفسر لكِ كل أحلامكِ، بلا وصف بـ"الدجل أو الشعوذة"، واتركيني عرافتكِ وصوت أصداف مصيركِ؛ كي يكون دائمًا مصيُركِ أنا، وسكة سفركِ أنا!

اهربي من كل الأحداث اليومية، وكل الصحف اليومية، وكل الأوجاع اليومية، في حضني الوحيد، الذي جعلته دائمًا خبركِ العاجل، بلا صحف ولا كلمات!

سأصنع لكِ من اللحظات بساطًا، تسيرين عليه بالحنة على قدميكِ، وتسمع اللحظة صوت خلخالك، فتظنها دقات الساعة، فتصير الساعة أسرع، واللحظة أجمل!

اجعلني بعضًا من رحيلكِ إن رحلتي، وبقائك إن بقيتي قليلًا، فإن كنت ثواني تمر عليك، فأنتِ عمر كامل يمر على كل لحظة، وكل نظرة!

لا أريد أن أسمع اسمي من شفتيك كما يريد كل عاشق من حبيبته، بل أريد أن أسمع اسمك أنتِ من شفتيكِ؛ كي يخرج اسمك كلحظة اكتمال أنوثة، أنتظر كمالها، في أثناء حديثنا معًا!

دعينا نصنع من مشاعرنا مراكب ورقية، نسابق بها العمر في نهر الحب، وإن كانت بلا شراع،

تكفيها دفقات الهمس الخارج من شفتينا لكي يجري بدفتها!

واعذريني إن كان وجهي شاحبًا قليلًا، فأنا ابتلعت سريرك أمس، نعم ابتلعت القمر؛ كي أستطيع أن أتحدث معك اليوم، بحروف قمرية، لامرأة تعودت أن تنام على القمر!

ساعة عزلة

استنساخ، الدم كما الصحراء غريب عني، أحن إليه في ساعة عزلة، قريب منِّي لكنَّ سرابه يجعله أبعد، دمي ملآن بالبشر وبالأخطاء وبالحب وبها، متشبع بها، في ساعة عزلة.

قد أصبح ملكًا أبديًا في عرش مليء بالنساء، قد أصبح كذبة في لسان البدويين عن الكرامات ودرب النور.

قد أصبح طبيبًا زائفًا لأحقن نفسي بمضادات الحب وموانع كسر القلب وحبوب تمنع عنِّي القهر.

هو استنساخ. أنا ليلي فعل استنساخ، دوامة حب لا أنجو منها إلا صباح الغد، أول ما يصحو مني رعشة أيدي، أمي تنقذني كل صباح بكوني غريقًا بفعل الأمر "استيقظ"،

أخاف أن أصحو فترى رأسي المبلولة أو عرقي المخضر كنبتة في ريعان شباب.

دقت أنوار الشمس في رأسي كجرس كنيسة، وطعام الإفطار، كوب من نور، عنب من كرمة حور العين، وقطعة خبز جبرانية من مائدة سماء، بفعل الأمر "تذكرها"، والجنة أقرب من فتح الباب والنار أقرب من ذكرى فراقي، أيهما أقرب، سيكون صباحي.

ورحيلي في الصبح كحملة تنقيب عن الدرر الإنسية.

ثمة أمان في عين امرأة لا كل امرأة تخون، ثمة صدق في عين الأخرى لا كل امرأة هنت عليها، ثمة كذب في تلك، وتحيط بعيني غشاوة، تتسابق جنيات الإنس في صدري بصفاتهن وبعض الكذب الأبيض، أحكم فيما بيني وبين نون النسوة، ويعود المنزل أقرب، والشارع أغرب وأحن لساعة عزلة، ويعود طعام الإفطار إنزيمًا لطحن القلب كحبة بركة؛ لأوزعها بين أيادي البيت وأيادي الشارع وقلوب المجرُوحين، ويعود الماء الفاتر قرب سريري، وأغرق في نفس الدوامة، وأمي على طرف سريري: "استيقظ". وأنا في قلب سريري أنادي العالم من موقعي هذا: أعشق.

كلمات من زمن الرياح

محظوظ أنت لتملك كل القوة في سرك وخفائك، وتزور شبابيك الناس المغلقة؛ لتخرج منها الأسرار في جلسة فنجان الشاي.

تهدأ الريح وتقول: أنا محظوظ؟ يا ليتني كنت بشرًا مثلك أسمع صوت الريح وأزاول مهنة السرِّ البشرية وأملك حق الحب فأملك حق الوجود.

أنا: ولكنك تملك حق الوجود وكيف لا وأنتَ الضارب في كل ميناء وفي كل بحر وعلى كل بر وحتى بين قبلات العشاق السرية.

الريح: أمرُّ على همسات العشاق نسيمًا لتغازل في جسدي الكلمات فيضرب قلبي رعد الإحساس لأكون الريح.

أكون الريح وأجري كما المجنون يمينًا ويسارًا؛ فأحرك أفرع الأشجار كأني أوقظهم أفيقوا، أني قد عرفت الحب، وأحرك في شبابيك الناس وكأني أقول لهم قد عرفت سركم، قد عرفت ما هو الحب في عالمكم.

لا أستطيع الحب، ولكني أعرفه الآن.

أنا: الحب ليس بعيدًا عنك، ألست تستطيع النوم على القمر والسير على البحار في وقت واحد؟

ألست تستطيع أن تنام في حضن الزهر وتراقص أيّ بنفسجة في حديقة رقصة باليه؟

وتستطيع أن تزور الأرض شمالًا وجنوبًا في ثانية أو أقل؟

الريح: نعم أستطيع.

- إذًا لا فرق بينك وبين عاشق.

- ولكني أريد أن يلهو شعر امرأة في حدائق يدي، وأن أستسلم من نظرتها حنانًا وحنينًا وشكًّا وإيمانًا، أن أقتفي أثر نبضي طول الليل في صحراء الحب المليئة بالسراب، وأن أنتشي من الحب ويصير كيوبيد طوع يدي، وأن أتأمل في بحر عينيها وأراقص كل ميناء فيه.

- هذا ليس كلام الريح، من أنت؟

- ألم تعرفني بعد؟ مع أني أشبهك كثيرًا؟

- (في غضب) كلامك لا يريحني أبدًا، من أنت؟ قل لي.

- (يخلع قناعه) أنا!

- أنت؟

- أنا نصفك المحروم من العشق، قرينك الذي هجر العشق منذ سنين ولم ينبض له قلب،

- ولكن، ماذا تريد الآن، وما هذا الكلام الذي قلته؟

- هذا شعور نصف قلبك الذي هجره الحبُّ تمامًا كحوار مَلاك وشيطان، أو جنة وجحيم.

- لا شيء لدي الآن إليك اذهب حيث جئت، مجرد ريح عابثة.

- ربما أكون ريحًا ولكني سأحدثك في كل مكان وزمان حتى تفيق.

- ماذا تريد مني؟

- أريدك عاشقًا مرة أخرى، قويًا، مصلوبًا ضعيفًا وفي نفس الوقت قويًا.

- لا شأن لك بي، قرار الحب أخذته في يديها وهجرت.

- ولكنك تملك قلبًا مهجورًا.

- وبماذا أملأه؟ بريح؟

- ربما بحبٍ ثانٍ؟

- لا يوجد شيء يسمى الحب الثاني، وأنا ما زالت قتيلًا للحب الأول لم أخرج من تحت عباءته إلى الآن.

- أتطير معي؟

- إلى أين؟

- إليها، بضعة نظرات ونغادر، عدني بذلك.

- لكني لا أملك إلا الدمع حين أنظر إليها!

- اتركه يسيل ويصفي القلب من ألم السنين.

- حسنًا.

وذهبت مع الريح أو قريني لزيارتها من وراء أثير لا تراه هي، وكأنها تشعر بي!

عجبًا، قامت وتحرَّكت في غرفتها تنظر، تبحث عن شيء ما! تتحسس جدران الغرفة! تشعر رُوح الحب كما ياسمينة تداعب خديها، تقلب صفحات كتاب في يديها كأنما تبحث عن نهاية غريبة، أو وطن لها في كلمة حبٍّ في طيّات الورق الأبيض، تسقط دمعة على أرض الغرفة، تختلط بدمعي، يضرب رعد ليس كرعد العالم هذا، يختفي الريح، ويختفي الجدار الوهمي بيننا.

وتراني وأراها!

أتمنى عودة الريح؛ ليأخذني من هول الموقف هذا لأعود بشرًا كما كنت، بدلًا من ملاكٍ باكٍ أمام عينيها.



كِريزةُ حبٍّ

أسير على طرقات خرساء لا تتكلم إلا صوت حذائي،

طرقات تتحدث ما لست أراه عن شكل جنوني، عن ضحكي الهستيري وبكائي المدوي على جنبات النهر.

ولا أهتم. ما زالت هنا وحدي ونفسي وكريزة حب، ما زال الحب يمارس كل طقوسه السحرية ويرش على الماء الغامض وكل تعاليم الشر، أنا رد الفعل الشرعي لكل الحادث قبل الحب، أضحك من كل الخوف وألهث خلف دموعي لأجتنب الغبطة، أضحك من صوت البوم، وصوت الرعد، وصوت نحيبي، فالفرح أشد من القتل في عرف آهاتي.

في كل صباح كنت أجالس دمي في رحلة ألعاب مائية.

وأنظف طرقات شراييني من أفعال الشك السفلية.

وأداعب قلبي بطعنة يأس، "أنا أعرف نفسي أكثر منك" قلت لقلبي.

فرد القلب "أنا منك وأعرف نفسي أكثر منك".

وما زالت أجادله الروعة والليل يطول، قلبي عصف وحشي بكل قوانين الأنثى، يقلب طاولته ويدندن ألفاظ خلاعته لو مست يداي نساء، يأخذني في أي مكان مشفر، ضبابي وحشي قاتم؛ ليمارس عدوانه ويشن بسلطته الحمقاء غارات في مدن شعوري، سوداويته حمامات سلام بيضاء.

كان يريد سلامًا، وأعلنتها بضعفي حربًا، أعلنت الحب، وقال كثيرًا ما ليس الحب، كتب وصيته وترك ثروته الشعورية لعقلي، عقابي لأحب بعقلي، لم يترك سببًا، لماذا الظلم لم يترك نصف التركة.

أمسك صورتها، وألملم بعض اللوحات المرسومة أو نصف المرسومة، وأضحك، قد أصبحت الزوجة.

وما زالت غريبًا، وحين أسير بعيدًا أعرف ما فعل القلب.

وعدت سريعًا؛ كي أسمع كذب الطرقات الخرساء، فها هي تنطق: مجنون.

بينَ الحبِّ والذّاتِ

نشوان من سم العشق ومن رقرقة الماء على همساتي، ومحاصر من كف عروسة ومن عقد ذهبي ومن وهم الأحلام.

مستسلم لكفوف ملائكة جمال، ترش الزهر على فساتين القديسات، وما زلت أُخيَّر بين الحبِّ وبين الذات؛ لأقرر هل أُصبح ذات الحبِّ، أم أبقى لحبِّ الذات؟

فلسفة تمطر من حضن البحر وتقاتلني بأصداف ورائحة بحرية، لكن لا يغريني الغرق في بحر هائج مجنون، فأنا في الحب، سأغرق لكن في سلام.

قلبي حصاد خريف، خليط من أوراق مقتولة وأزهار ذابلة ورسائل حب محروقة، ينتظر الحب مخلصه الأبدي، لكن لم يأتِ إلا ليزيد الورق عناءً والزهر عذابًا.

نشوان من عطر الفكرة ومن زلزلة الشوق إليها ومن كل كيان قد عانق منها أثيرًا،

تكتمل موسيقى القلب من طرقعة الكعب العالي ومن صفير الأنفاس ومن فيولين عذوبتها، ولكن لا تزال الألحان غرائب وتخاريف عشقية.

أستلقي على أوجاعي في الليلة ألف مرة وألف امرأة.

لا تأتي بشارات من مدن العشق الأبدية في عينيها إلا رسول، لا يحمل في كل مرة إلا فرمان للعشق.

الغربة كلمة تستحق الانحناء والتبجيل في عينيها.

الدمعة أميرة فرَّت من مَلك العين؛ لكي تنتحر على خد أو مدمع.

والحب هو سحرها الأسود ذو القلب الأبيض.

وأنا رجل يظنُّ نفسَه العشق أحيانًا والموت أحيانا!

مقهور من سلطان النظرة ومقتول بترانيم نسيم عاشق.

لا أحد يعرفني إلا كيوبيد ولا أحد يفهمني إلا السهم الناخر في قلبي.

أعترف أمام العالم، عاشق، التهمة عاشق، الكنية عاشق.

وفنار الحبِّ يغازل سفني ولكن البحر بحار ظلام.

لا أعرف كيف سينجو الربان وسفينتنا تموت بسكتتها البحرية.

أحتاج لقتل القلب الرحيم بدلًا من حياة القلب الأليم.

أحتاج لأن يخرج قلبي من منطقة الفاكهة المحرَّمة؛ كي أشرب منه وأتحدَّث معه.

وأن تخرج هي من واحة النور كي لا يمنعني منها سراب وطيور عابثة وملطخة بالأوهام.

أحتاج لأن نتبادل الأدوار ليوم واحد، فحينها لن تخرج مني أبدًا حين ترى قلبي كيف سينبض فيها.

أحتاج للرهبة الدائمة في الحب فرهبة الحب هي الأمان الكامل للإحساس.

أن أرتمي في حضن قطعة سكر فهي الوحيدة التي ستشعر ما أشعر به.

وأن أرقص مع القدر على أرضٍ أخرى في حياة أخرى كي يحسني.

أحتاج وأحتاج وأحتاج.

ولكن كل ما أحتاجه الآن هو نظرة عين؛ كي أخرج من عالم أحلامي إلى حلم العالم الخاص بي، مجرد نظرة.


عبقريةُ الحزنِ

الحزن جميل ولكن لا يتباهى جمالًا، يتباهى بخضوع، وفي خضوع تباهيه كمال صفائه، عميق جدًّا مثل الله، الله هذا العبقري الأول بالفطرة، خلق الشعر ولم يتباهَ ببضعة أبيات، وخلق الجمال ولم يتباهَ بجماله، وخلق البحر وعيناها ولم يتباهَ.

الحزن شعور بمحض إرادته نزوته الدمعة وذلته ابتسامة، الحزن كأول العام ينتظر بشارة لكي تخرجه من نفسه ولكي نجعل للعام مقام السعداء، الحزن لا يرحل ولكن كان دائمًا وجهة الرحيل حين يضم لصدره آهات وأنين، الحزن كسلاسة كلمات يتسرَّب في صدرك كالعشق، هو أول تيار ضد الضد يجعل من وجوهنا الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الأمس.

كم منا ليس حزينًا لكن يشتاق الحزن، اشتياق الحزن يأتي أحيانًا من حزن الاشتياق وأحيانًا من اكتمال لحظة حزينة.

كل حزين يفهمني الآن!

ضوي على صدرك عمر الشمس ونام لن تجد الليل منيرًا، من سافر في طريق الحزن بلا أجنحة تتلقاه ملائكة الله لكي تأخذ من دمعه بعض صفاء الجنة.

إن عاد وحيدًا دون دموعه فانتظر الفرحة الأولى في عينيه كولادة طفل دري، إن عاد بدمعه فانتظر بشارات من وجه الشمس؛ كي تضوي مغيبًا بجناحيها.

الحزن ذكي جدًّا ولكن لا يتباهى بذكائه، يتذاكى بهدوء، وفي هدوئه الحزن الذكي، الحزن كحفيف الأوراق الشجرية في ليل هادئ من عصف خريف، كترياق يحتاج إلينا كحاجتنا إليه، كفلسفة الوَجع الكلية في شدو بلابل، كنبض النبض وإن غاب النبض، صدق الحزن هو الدنيا وكذبته ضحكتها.

الحزن كغابات بنفسج اللون الغامق كصراخ الفرحة في حلق الموت، الحزن ضحية من ضحايا الدمعة وقاتل البسمة المأجور.

ولكن ثوري أنتِ ككلماتي، سيري بالوجع وبالترحيل على خدي هنا فوق شفاهي نطقت حروفك، سيري مشقوقةً كحبات الرمان في غابات نحيبي لكي نلقى قوس قزح معًا بلا كنز مجنون، قري عينًا، هدهدي مهدك كالطفلة في طيف الحزن العابر كي نهدأ، ضمي حواءك أكثر كي أكره آدم المحني في نفسي، كم كنتِ جميلة كما حزنك ولكني، بدَّلت متعتي من جمال حزنك إلى حزني الجميل.

في عبقرية حزن.

قدحُ الرهبةِ

الدمع وبضعة أكواب من قدح الرهبة تسير على أعصابي.

قديس لا يملك إلا العشق هديل حمام يصيح به.

وموانئ من رائحة الأنفاس العذبة تعصف في صدري.

ثم تصير الصورة خضراء كعيدان الحبِّ وأتقدم خطوة إليها.

مرتاب في الخطوات كمن سيقدِّم من جسده قربانًا أو دم شهيد.

تتزاحم كل حواسي فأسمع أضواء وأرى أصواتًا وكل الشيء بعكسه.

وتغني معاني الشوق على عتبات شجوني.

فأرشد كل لحن إلى ضالته وإلى نبضته؛ لكي يشرب من دمي.

شهد يتساقط من كل جدار، وطبول الرهبة تسيرني إلى عشاء الحب الأخير.

ثم تصير الصورة خضراء كعيدان الحب وأتقدَّم خطوةً أخرى.

أعيش في عنبر قلقي وجنوني تحت حراسة هذا الحبِّ،

والحراس ملائكة وعرائس ودواوين، ولا أعرف كيف سأهرب إلا بمزمار أو لحن تائه.

لا أعرف كيف سأخرج من جسد الحب ولو يخرج من جسدي هو مرات ومرات.

وأسير متيمًا بعيون خارجة عن كل نصوص فينوس وما لها من سلطان.

ويصير دعائي الأوحد في عزلة تلك العين: أيا قلبي زدني عشقًا.

وأسير الخطوة تلو الخطوة.

وتسير الخطوات حديث القلم وثرثرة للنسمات مع بعض كياني.

شيء يمنعني من الهرب مع أن الهرب سبيلي الأوحد.

وكأن الحب يقول لا مهرب مني إلا إليَّ.

ولا مخرج من أحضاني إلا لأحضان أقراني.

لا أجد مفرًّا من عينيها المعصومتين من الخطأ.

ولا نظرتها المستوحاة من بعض تراتيل الفردوس.

لأول مرة أحاول أن أتسلَّق صدري وأزاحم ضلعي في مكان للنوم.

وأحاول أن أتعاطى أحزاني كمخدر يخرجني من تعاليم الحبِّ.

وأصاحب كل الألوان كي لا يتأقلم فقط اللون الأسود فوق قلبي.

وما زالت أسير الخطوة تلو الخطوة.

وأنا أسير الخطوة وفي نفس الوقت أسير إلى الخطوة.

لا يعذبني إلا الأشجار الجائعة في لمحات الطرق لبعض الحبِّ.

وبعض النقرات والوعود على جذعها.

وكأني مسئول عنها وعن حب تائه منذ سنين.

وكأني المسئول عن الشجن في عين الزهر ونبض الندى الضعيف.

وكأن الحبَّ جعلني مسئولًا عن كل الدنيا وما فيها إلا عن نفسي وإحساسي.

أعشق كي يرتاح القمر وترتاح الشمس ويرتاح الزهر ولا أرتاح أنا.

وما زالت أفقد نفسي في كل صباح وأحاول أن أجدها في صباح آخر حين أحبُّ.

ولا يزال الحب معلمي وقدوتي الأكبر.

وما زالت خطواتي تمارس فعل الألم مع أنفاسي ولا أجد اللذة.

متى يستحيل الألم لذيذًا والوجعة بنكهة السعادة؟

حين نحبُّ؟

حسنًا.

سأظل أحبُّ وأتألم.

وياله من تناقض. عجبًا!

سنوات من صيغ التيه وفضفضة الأنفاس لكي لا أقول أحبك، سنوات بشهور من فضة وأوقات ليست من ذهب، سنوات ترحل لا يستقبلها في ميناء الحب إلا علامات تعجب، وما زالت أراه.

الله هناك يحاصر كل الدنيا بقلب نبضه الجمال وصوت دقاته كصوت العمر، وملائكته تتعاطى عقاقير الحب؛ لكي تحيا بين كمال الزهر وسوسنة الأحلام، وبنات القمر تحاصر بيت الله بفطرة حب، وبلحن الحب، وبشاشة وجه الحلم في وجه العاشق تشرقه جمالًا، كنافورة نثر تخرج من ماء شعري عذب، وريحان النظرة الأولى تقسم لله بقسم الفطرة، أن الحب هو لغة الدنيا، وحين تغيب الشمس تظل تفكر في عشاق اليوم التالي، وما زلت هناك مغشيًا في غار من عاج ومعي الحب والعنكبوت ينسج بيتًا وهنًا حول الغار، وما زلت لا أقول "أحبك". حين تبسمتِ تخاطرَ للدنيا - لأول وهلة- أن الله يغيِّر لوحته الكاملة للوحة أكمل، وحين بكيتي تثاءبت الأقلام في أيدي الشعراء في لحظة تخاطر قلمي وحيدًا.

وصيغة "أفعل" لم تخلق إلا لك، أنتِ الأجمل أنتِ الأذكى أنتِ الأغرب، خمرتك أبا نواس بيدي الآن، تعالَ وقبِّل يد الحبِّ، "منذُ أحببتُ" أقوى من "منذُ خُلِقتُ"، في الأولى كنت فاعلًا ومفعولًا به، منذ أحببت رأيت الناس بصبغة مرمر ووجوه تدهش حتى الشمس، ورأيت الأشياء المخفية وما وراء النهر وتعلَّمت لغات الأشجار.

الوداع لا يجلس على طاولة المفاوضات

عباءة مرتعشة

منذ عهدت الحبَّ ولا أرى الأزهار إلا نقوشًا وردية في عروق الأرض.

ونظرات الناس مراكب ورقية تسير في بحر من دمع القلب.

أحاول أن أجعل من طباعي خواتمَ أو عقدًا من لؤلؤ على رقبة هذا العالم.

أو أطبع قُبلة على خد طفلة؛ كي تبتسم فارسم من بسمتها بقية طفولة قلب.

أتعلم كيف أحنط هذا الوقت؛ كي أخرج من مومياء اللاحبِّ.

حين عشقت تحول قلبي إلى لوحة موناليزا لا تعرف هل يضحك أم يبكي أو يحزن أو يتفاءل أم يتشاءم.

وتحول صدري إلى طاولة لمفاوضات النبض أو حقل للغم الباقي من حرب النظرة الأولى.

منذ عهدت الحبَّ ولا أجد ساعتي المفضلة ولا فنجاني المفضَّل ولا أغنيتي المفضَّلة.

فصيغة الأفضل أصبحت فقط في عينيها.

أصبحت الغزلان طقوسًا يومية في غرفتي وسفن النبيذ عادةً أصيلةً فوق المخدة، وحين أنام أجد المشاعر تقفز كالدرافيل في كل الأنحاء وأكون أنا لحظة الغروب لتكتمل اللوحة، حين عهدت الحبَّ أصبحت

كل الأشياء ناطقة حتى أناملي تنطق أحيانًا تحتاج للمس القلم أو الكلمات أو يديها فكلهم أصحاب القلب.

تتبخر جدراني لأنظر لأزمنة موازية وأزمنة مواتية من فوق سريري، ويتعلَّم حتى طعامي فنَّ الرقص الشرقي في طبق الصباح ليحاول أن يجعلني أسترخي قليلًا.

ويأخذ قلبي من بعض رحيل الدم بداخلي نظارته الشخصية؛ ليقرأ بعض سونيتات الحب وبعض القصائد.

أنا لا أقترن بلحظة ولا ألتصق بأمكنة ولكن أنا طوع العشق.

حين عهدت الحبَّ؛ صنع القلم منِّي تسليةً أو مهرجًا في بلاطه الخاص، وصنع القلب منِّي عباءة مرتعشة يستلهم من بردها الدفء، وجعلني الموت آخر فكرة انتحار له إن يأس، وآخر فكرة أمل له إن كان سيأمل.

أنا منذ عهدت الحبَّ ولا يسري بدمي إلا الألحان ولا أشرب إلا الخرافات والمعجزات، لم أعد أهتم بلون جدار أو لون وسادة، فكل ما أهتم به هو لون حياتي الآن، ولون القصص الغريبة في قلبي، وكأن سندريلا تركت حذاءها معلقًا بين قلبي وضلوعي، وآليس دخلت قلبي واعتبرته عجائبها الكبرى، حتى سندباد غزل من دمي بساطًا له وهاجر لمدينة أخرى، وأصبح قلبي فصًا للحب وفصًا للعذاب، وأصبحت شجوني أبخرةً تتطاير فوق عيوني فلا أرى إلا سحبًا ودخانًا، وغرفتي قضبان ممتدة أينما خرجت ذهبت معي لتعيدني إليها.

لا أعرف للحب سَمِيًّا، لا وطن لا اسم ولا هوية، ولكن أعرف لمعة خنجره في عيني وصوت الخنجر حين يتخبط في كل جدار كقاتل

سكران.

منذ عهدت الحبَّ ولا أدري لما أصبح جبيني حقلًا للأزهار وقلبي مصباحًا سحريًّا.

منذ عرفت الحبَّ، ولا أدري، هل هو مصيري، أم أنا مصيره؟ أم نحن مصير للقدر.

يسافر كي يهرب من دولة عشق لدولة ذكرى، وسيهجر ألف يمامة وألف قرنفلة كي يتغرَّب في حضن زهرة جديدة، أراه الآن، يتوضأ بالميناء ويرتل سفرًا في قلب طريق لا يريده ولكن ينشده!

سيعود؛ لأني أراه يتحسس مطرًا من خلف زجاج، هذا المشهد يستلهم عيناها سيعود؛ لأني أراه ينظر للبحر وللسفن الأخرى بنفس النظرة حين يحدِّثها، لن يكمل رحلته لأني أراه ما زال يخاطر قلبه عن بعد لأنه معها ولا يملكه، لن يكمل رحلته لأن سفينته وهمية، هذا القبطان هو عقله، يريده أن يرحل كل الركاب الإنس والجن وهميون من عالم رباني كطلعتها، كل السفن الأخرى بعض من أفكاره المشتتة عنها وعن قصة كل العمر وبعض العمر.

بل هو ليس هو؛ لأني أنا هو، ولكن في وضع التنويم ولا أعرف ماذا أكتب أو ماذا أقرِّر، أنا في الحلم ولكني سأعافر؛ كي أصحو وألغي الرحلة، أتحدى غفوة نومي بيقظة حلمي وسأقرِّر.

سفن تتفتت كالزهرة في مشهد تحبني أو لا تحبني، قبطان يختنق ويعلِّق آخر أحلامه على طاولة الحظ ولا يراهن أبدًا، وأناس شبحية تظهر كالنبض في قلب مقتول معلقين بين كلمتي ربما ويمكن، أهرب من تلك السفينة وأنا خلفك لا أريد الموت، تذكر أيامك معها تذكر آخر كلمات وأول كلمات، تذكر.

يا الله لن ننجو أبدًا.

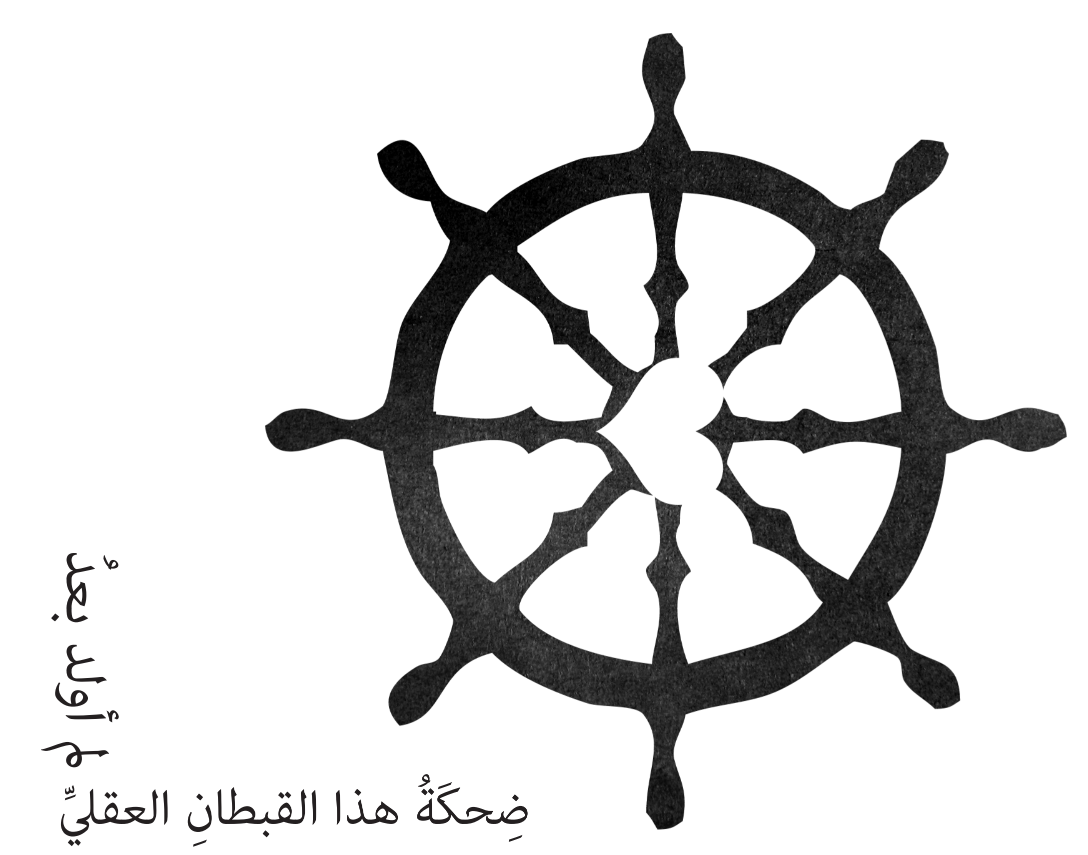
هذا القبطان الملعون استنجد بالحرس العقلي؛ ليحاصر تلك الفكرة.

لا، لا، لا تفعل أرجوك.

الآن سأذهب!

قبَّلَ صورتها وسجد لربه ومات!

وآخر ما رأيته في حياتي وأشهد، ضحكة هذا القبطان في صراع العقل مع قلبه.



ضِحكَةُ هذا القبطانِ العقليِّ

لم أولد بعدُ

لم أولد بعد.

ما زلت أنا لم أولد بعد، أحاول أن أكمل فكرة وجودي بداخلي؛ كي أوجد حقًا، أحاول أن أحيا خفيًا؛ كي أقنع نفسي بعدم وجودي؛ ليكون الحب بداخلي أملًا سيأتي، وتكون الحياة بداية ستأتي، وتكون مشاعري في مهدها.

ما زلت ما بين العالم والعالم؛ عالم غير مرئي وعالم البشر المرئي، خفيًا كما الإحساس، طائرًا كما الحرية، هائمًا كما أسهم كيوبيد، أحاول أن أقرأ قدري بلا جدوى؛ كي أعرف هل أُوجد أم أفضل البقاء خفيًا، أتمدد ما بين اللامرئيات؛ ما بين الخوف والأمل والحزن والسعادة.

أتخبط في الجدران الملتهبة التي تسمى المشاعر، يخنقني الهجر وتحييني مشاعر قبلة عاشق، أتغطى بالأحلام وأستيقظ على ضوء دعوات الناس، أتخبط في أربعة فصول في العام كما فصول العالم الأربع، ولكن لا فصل منهم يحيي زهرةً أو ينبت حلمًا، في هذا العالم أشرب ممّا أحلم به، ولكن ما أكثر المرات التي تشربني فيها كوابيسي وشكوكي.

أخلق عالمي بفرشتي وألواني، وتنفطر مشاعري كما درجات الألوان وصولًا للون الأسود الذي أكره، فأبني من شعوري بريشتي قصرًا للحبِّ وآخر للأحلام، وأحاول أن أبني الكون مقاس أحلامي وأمنياتي، ولكنه المستحيل.

أحاول أن أخرج من كفِّي الرعد الضارب فيهم، من غضبي على هجر حبيب أو قتل شعور، فتسقط أمطار في دنياي تنبئني بخير قادم، وتنبئني بزهري المفقود، وبحلمي الموعود، وأطير على كل جبال الأرض لأرى الدنيا من أبعد نقطة، فلا أجد إلا قلوبًا تطير ودعوات تخفق بجناحيها وآمالًا ترفع للسماء.

لم أولد بعد؛ كي أشرب خمرتها أو أتصبح من وردية خد الغزلان في عالمها، لم أولد كي أشهد أول ميلاد للقمر، وأول موتة للشمس في جبينها، لم أتذوق طعم النور على طرف لساني إلا في عتمتي، ما زلت عاريًا تمامًا، لا ألبس إلا ظلامي ولا أجد كهفًا في آخره عباءة أو شيء يحضن جسدي، لا أجد إلا فراشات تحيك ملابس من أزهار لأخرج إلى عالمها، وتصنع وسادات من البنفسج؛ لكي يصبح الحلم لائقًا بأميرتي، لم أولد كي أشهد كل الأحداث وكل التفاصيل، لكنِّي أريد الآن أن أولد؛ كي أعشقها، وتعشقني، وليجمع الحبُّ بيننا في عالمي، أو في عالمها، ففي عالمي الخفي، لا أسمع إلا جملة واحدة من الظلام، "اعشق حتى أراك"، "اعشق حتى أراك".

في قلب نَيسانَ

في قلب نيسان، ذكرى للعاشق والأزهار وقافية الليل، وعقد من بَلُّور وأناشيد الوعد.

في قلب نيسان، شقشقة النور على وجه امرأة، وتسابيح الصبح على عينيها؛ كي يتفَّجر منها نهار أنقى، وليل مذهل! وشراع يتحرى الصدق على كفِّ يديها، لتفتح صندوق اليد ليتنفس آخر غروب.

في عيون نيسان الوعد، ما بين الرَّمشَةِ والرَّمشَة، أمل قد يحيا، وحب قد يُولد.

في كف نيسان، رقرقة من قبلات وعبير من كلمات، سلوان في صوت الناي على خط الحبِّ، لا خط للعمر ولا شيء آخر.

حين يطل نيسان، تتغير ذاكرة الأمطار، لا تُمطر إلا اعترافات ملائكة بخلود الحبِّ، لا تفتح عرَّافةٌ كفًّا إلا وتبكي عليه، ويظل طموح السماء أن تمطر أزهارًا، ويظل طموح الأرض أن تولد امرأةٌ مثل حبيبتي من جديد.

هي تبقى أحلام نيسان، ويعود الناعم في قلوبنا ترانيم سنابل، وبقايا قصائد، وتعود سنين العمر كقطعة فخّار، مزخرفة بالحبِّ ومخلَّدة فيه، قدر لفراقك يا نيسان، وابتسم ولا تبكِ، أتحمل ما ستمليه على قلبي، لا تفطر قلبك من أجلي، فأنا والحب عذابان، في نهاية رحلتنا نتوحَّد، إن كنّا على دمعة أو موسيقى، في نهاية رحلتنا سنبقى، لو كنّا زهورًا أو برقية وداع، أتذكر حين ظننت دموعها على كتفي لبسًا للعيد، حين رأيت حنيني إليها فظننت الله سيخلق فصلًا

خامسًا للحب من بعد شتاء وخريف، لا تخف على دمعي، فالحبُّ رحيم، عصا الحب السحرية لا تهبنا إلا الحياة، لا تعرف طعم الموت إلا حين ترفض قلوبنا سحره، لا تخف على موتي ما دام الدم عاشقًا، ولا على ذبولي مادامت الأحزان سوسنة.

وعانقني وتمايل قدرًا في قلبي، وتُغنى في قلبي بقارب حب، وشراع من ياسمين.

مرسل إلى: نيسان، في نهار، لا أذكره، ليوم سيأتي، وشمس قد تعود.

أحلامُ اليقظةِ

لست الصدفة، لكن للصدفة أسماء عدة أول أحرفها منك، لا تدمع أبدًا إلا حين تكون خطايا الدمع صادقة جدًّا في ملامح وجهك.

أنا:

أحلام اليقظة، أن أستنشق أسمى معاني الحبِّ في وجهك، أن أستلهم كل أساطير الحبِّ في بعض من خرافات الزهر الساكن فيك، أن أستعبد كل غراميات السادة حب الراحة أو حب الآه، وأن أدهن بعض من زيت العمر على لوحة شمس لا تُطفئ، لكن أحلام النوم، تحييني.

هي:

المنتهى لا ينتهي في بعض منك حين تدقُّ لغات الأرض بشفتيك، لو نسكن قطرات ندية في بعض مسام الحب أكون الأقوى، لو نتيقن أو يتيقن من قلبينا دهاء الحب أكون الأشمل، لو نعثر على بلد تمنحه صكوك الغفران ونحيا ملوكًا أكون الأجمل، وأنتَ الأجمل، أنتَ الأقوى.

- القمر هناك يحاول أن يغفو، أن يغمض عينيه قليلًا عن نور فلانة، قد يخسف لكن يبقى الجزء الأبيض فيه منيرًا من نظرات فلانة، قد يتعلَّم بعضًا من لغة الصبح؛ كي يبقى طوال اليوم على أجفان فُلانة، لكن من يمنحه الصبر وأنا أفنيت الصبر على عتبات فُلانة.

- (تحرك عينيها في خبث وتبتسم) وفلانة؟

- (أتنهد) على شفتيها الكوثر، وفي يدها الأكثر، تمنحني بنظرة

أعين أول إغفاءة في غيبوبة حُبٍّ، تقلب طاولة شراييني يُسكر وجهي بسكرها ويظل في وضع الساكن، والقلب يُغامر في صدري ويُراهن على عمره أن النظرة القادمة هي الأجمل، يتحرَّر من كل دمائه يتخلَّص من كل نياطه؛ كي يُكسى بلباس أحلى، من نظرة عيناها، ويكون في وضع المتحرِّك، وما بين الساكن والمتحرك تضرب أبحرة العشق وتتماوج خلف آذاني لأغفى الثانية الأشجى، وما بين الساكن والمتحرِّك والبحر خُرافات عدة؛ أولها الشعر، وثانيها فلانة.

- (استعادة ثقة الأنثى) شيء أخبرني أن الشمل يُوحَّد حين يكون سراب الحب جليًا فينا، نجري نستبق الخطوات ونتعثَّر في بعض زَنابِقِهِ، الله، الله، هي الروعة،

حين يستنطق فينا الله عذاب الحب؛ لنذوق بصعبه شهده وبخرافته حقيقته وبفقره سلطانه وبهمهمته جلجلته وجلاله، الله الله هي الروعة.

- سيف الحب المسلول علينا يجعلني ربيعًا وزهوري شهوري وخريف قادم أخشاه، أخاف أن أحياه، لا أخاف على الزهر ولكن على بتلات الزهر الشارب منك المُستلطف بنداك، المُستيقن منك حتى الجذر لنهاية خط العمر، وحديقة ربيعي تضاء بأنوار ست الحسن هي لا شرقية ولا غربية، حديقة في جنتك.

- في بحر دمائي مصبّات للوجد وللحب وللحرمان، لكن نهر دماك لا تسكنه اللوعة، لا تُوجد معجزة أخرى كي نلقى المالح بالعذب إلا بسلطان من عند الله يُسمَّى الحبَّ؛ ليكون لمدي وجزري بيوت وأماكن من ملح البهجة.

- ومشاعر تحت الصفر تستلهم شمسًا لتزيد الوجعة، وشموس كانت ترتاح تستلهم صفرًا؛ كي تُبقي إليه صفة المهموم، والقلب محير

ما كان مخيراً في ما بين الشمس وجليد لا يفنى، لا أفهم أبدًا هذا العشق، أنزل من عليائي كي أشتاق إليه!، وأفارق اسمي ثم أُلملم حرفه في بعض منها، وأسقط من يدٍ كانت تنقذني كي أتمنى أن أتشبث بها، وأفعل كل الضدِّ؛ كي أصل إلى الضدِّ، شدي وثاقي بحبل الفكر المتعطِّر منكِ لتنساب على جنبات شراييني رائحتكِ فتدب حياة في رُوحي.

- (في لهفة) لا لا، أخاف عليك وأخاف على نفسي دعنا نُحضر رُوح الحبِّ؛ لننساب على جنبات شرايينه رائحة للعشق فتدب الأرض حياةً وجمالًا.

- أنا رَجلك؟ وحبيبك؟

- (في رشاقة) بل أنا أنثاك ودُنياك وأجمل ما فيك، عاشقة كل معانيك.

وأقلب وأقلب في فنجان الشاي، وينظر لي كل الجالسين ويقول النّادِلُ: "سيدي قد ذاب السكر منذ زمن"!

أستحضر نفسي أقول: يا ليتها تذوب في دمي مثل السكر، مجرد لحظة.

لقاءٌ واحدٌ أخيرٌ

شهور تمضي وما زالت يا قلبي تعاني عشقًا إكلينيكيًا.

كم جئت بأمطار وشموس لأقنعك رحيل الحبِّ وما زالت تعاني، وعقدت الهدنة مع عينيها لتلملم نجمك منها، وما زالت الأضعف.

في نحيبه قال لم يكن وداعًا، أي وداع هذا يتدثر أشباحًا ونياشين الموت البطيء، ويقيس مسافات الوجعة بين رحيل آخر أنفاسي وكعب حذاء!

أقسى وداعٍ هو ما يأتي بعد الضحكة، حين يكون آخر أمالك في الدنيا معلقًا في رمش عيون، تستيقظ، تخرج من نفسك، تنتظر الأمل القادم، لتكتشف أنه رمش اصطناعي!

أقسى وداع هو ما يأتي بعد الألفة، وحين يأتي وداع الألفة، فستألف الوداع، تألف أن تقتل إصبعك بنوتة موسيقية، أو لحن جارح، تألف أن تشرب سم الزهر ولا تعرف لون فراشاته، وتحاول أن تكسر آخر تمثال لك، في معبد ثقتك، وتدمر سفن نبيذ قادم من شفتيها بشمس غروبك، وتصير حياتك شمعة، تكسرها الريح وتحياها بنار، تنتسب للون الصحراء، وتعيش العمر كماء يعشقه المتخيل، ولا يشرب، ما كنت سرابًا من قبل ولا أعرف لغته.

وتنهد قلبي وقال وما رحلت إذ رحلت ولكن الحب رحل.

لم يترك كلمته، رحل ولم يترك حتى زهرة على جثة ضحيته، أي غياب هذا وراءه رائحة العطر وآخر رشفة فنجان ودخان سجائره.

كل شيء هنا يبَّشر بالعودة، بقع الحبر على الأوراق تجف، تنتظر القلم وتشتاق إلى السطر بلا جدوى، ذهول!

مظاهرة شعبية في قلبي من نبضات ودم، أشياء لا تبشر بالخير إلا بعودة هذا الحب، جفون مرسومة بأقلام السهر وحبر الآه، جسدي ممدودٌ فوق الأيام بلا حلم واحد، أي غياب هذا ورائحة الرمان في كل الغرفة تبشر بالحب الدائم.

هو أقسى وداع، حين يطل بلا شرفات ولا أمكنة للقبلة الأخيرة، حين يطير بأجنحة ملاك ولا يترك إلا النار ولعنات السحرة، حين يطل بلا ميناء، بأيادٍ مقطوعة لوداع يخلو من التلويح ورعشات الأيدي، لم تترك لعنته مكانًا في قلبي إلا وفتنته لجبل ثلجي، والثلج يذوب لحر لقاء واحد أخير.

لقاء واحد أخير.

لقاء واحد أخير.

عادت، بدون أن تعود.

عادت بدونها.

أصابعُك البيضاءُ

شيء ردَّد في عينيك، كلمات صعبة، إن أحببت فلا تخشى شيئًا، فقد استوطنت الخوف، وولدت وحيدًا في عالم من حرف وخيال، فانفجرت شفتيك تقول: تعالَ وحدثني عن القبلة الأولى، فخطاك مثقلة بداء العشق وحمى عذاب العشاق، تعالَ وفجِّر عقلك مملكةً من نثر فوق جبيني؛ لأرفع رايات أنوثتي البيضاء، وأزرع قلبي المسكين كما الرمح في صدرك.

همهم شعرك ببسيط القول وقال: خصالي تحدثني عن أول غزوة من فرسان خمس، أحسبهم أصابعك الدافئة، وقد استشهدوا في العشق إلا قليلًا؛ ليعيشوا في ضفائري بكرة وأصيلًا.

قالت أصابعك البيضاء، فلنصنع بيدينا بساطًا من زهر وليمون، تستريح عليه نبضاتنا المتعبة، فترتد في قلوبنا، رجالًا وصبايا، بقصائد ووعود، نغسل أحلامنا بقدسية لمستهم، ونعمِّر في أرض الحب سنينًا كي نستنسخ منهم نبضًا أجدد، عاشق للروعة.

لم يبقَ شيء إلا أنفك الرقيق، لم يقل شيئًا، سكت كثيرًا.

حتى ابتسم وقال: تعالَ لأشتم الزهرة في كونك رجلًا يعشقني؛ لأشتم جمالي المرتحل في نظراتك فتكتمل أنوثتي، لأخلق سندريلا بداخلي، وأخرج من تفاحتي المسمومة، وأعيش على كفيك أشعارًا منحوتة، وعبيرًا لا يحدث عن الهوى في حفلات بنفسجك، وأستنشق منداك الرجولي، كما تحيا بكلمة هي، وأغترب عن النار بجنتك الحانية، وأزين كفي بحنة دعائك كالكروان على خدي.

ولا أعبر منك إلا إليك، تعالَ أحنط صلواتي في محرابك غزلانًا وأيائل، وأهوُّن على الدنيا ولا أهوُّن على كف يديك.

في هذا الحلم تبسمت كثيرًا، وكانت أول ابتسامة حزينة لي، لأجد في حزن ابتسامتي، ابتسامة الحزن في وجهي.

أهلًا بي في عالم الحزن.